المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

التدابير الشرعية والعملية في مواجهة موجة الغلاء العالمية

وعود الرزاق في القرآن الكريم بسعة الأرزاق جمعًا ودراسة

بحثٌ مُقدَّمٌ إلى

المُؤتمَرِ الدَّوليّ الأوَّل لكليَّةِ أصُول الدِّين والدَّعوةِ بالمنصورة

بعنوان

التَّدابير الشَّرعيَّة والعَمَليَّة في مُواجهة مَوجةِ الغلاءِ العالميَّة

الأحد ٣ مارس ٢٠٢٤ م

إعداد

الدكتور / عبد الرحمن السيد عبد الله عبد الفتاح

المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

ملخص البحث باللغة العربية

"وعود الرزاق في القرآن الكريم بسعة الأرزاق، جمعًا ودراسة"

عبد الرحمن السيد عبد الله عبد الفتاح

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، المنصورة، مصر

البريد الالكتروني: AbdelrahmanAbdelfattah659.el@azhar.edu.eg

الملخص:

يهدف البحث إلى دراسة وعود الله الكريم الرزاق ﷻ في كتابه الكريم بسعة الأرزاق وبسطها لعباده اللذين يمتثلون الأمر الذي اشترطه الله ﷻ لنفاذ وعده بسعة الرزق، فنقف بهذه الدراسة على الأسباب التي بينها ربنا ﷻ في كتابه لسعة الرزق، فنواجه بذلك موجة الغلاء العالمية، كما يهدف أيضا إلى غرس اليقين في القلوب بوعود الله ﷻ، فهو لا يخلف وعده سبحانه، وإلى تنبيه المنغمسين في الحياة الدنيا والغافلين عن كتاب الله وطاعته إلى وجوب الأخذ بالأسباب التي بينها الله في كتابه الكريم لسعة الأرزاق، فعبادة الله سبب عظيم في رغد العيش، وسعة الرزق، وقد تناول البحث مقدمة وتمهيدا وستة مباحث وخاتمة، أما المقدمة فاحتوت على نبذة مختصرة عن فضل القرآن الكريم واهتمامه بالحديث عن قضية الرزق، وأما التمهيد فاشتمل على مسألتين، أولهما: بينت فيها -بإيجاز- أن الله لا يخلف وعده، ولا أحد أصدق من الله قيلا، وثانيهما: بينت فيها -بإيجاز- القواعد التي تتعلق بمسألة الرزق من خلال آيات القرآن الكريم، وأما المباحث الستة فهي الأسباب التي وعد الله ﷻ بسعة الرزق لمن عمل بها، وهي: تقوى الله وعبادته، والإنفاق في سبيل الله، والانتشار في الأرض سعيًا على الرزق، والاستغفار، والشكر، والدعاء، وأما الخاتمة فاشتملت على أهم النتائج والتوصيات، وفهرس المراجع، وأكدت الدراسة أن العبد المؤمن ينبغي عليه أن يأخذ بأسباب الرزق، وأن يمتثل ما أمر الله به وهو على يقين بوعد الله ﷻ له، فلا أحد أوفى بعهده من

الله، وأن الأمة الإسلامية إذا امتثلت أمر الله ﷻ وطبقت شرعه عاشت حياة طيبة في رغد من العيش، وسعة وبركة في الرزق.

الكلمات المفتاحية: وعود، الرزاق، سعة، الأرزاق.

ملخص البحث باللغة الإنجليزية

“The promises of the Provider in the Holy Qur’an are abundant in provision, collected and studied”.

Abdul Rahman Al-Sayid Abdullah Abdel Fattah
Department of Interpretation and Qur’anic Sciences, Faculty of Fundamentals of Religion and Da’wah, Al-Azhar University, Mansoura, Egypt
Email: AbdelrahmanAbdelfattah659.el@azhar.edu.eg

Abstract:

The research aims to study the promises of God the Most Gracious and Sustainer, Glory be to Him, in His Holy Book, with abundant provision, and to extend them to His servants who comply with the command that God Almighty has stipulated for the implementation of His promise of abundant provision, with this study, we focus on the reasons that our Lord, Glory be to Him, explained in His book, the abundance of sustenance, thus, we face the global wave of high prices, it also aims to instill certainty in hearts about the promises of God Almighty, He does not break His promise, Glory be to Him. And to alert those who are immersed in the life of this world and who are heedless of the Book of God and its obedience to the necessity of adopting the reasons that God has explained in His Noble Book for the abundance of provision, Worshiping God is a great reason for a prosperous life and abundant livelihood. The research included an introduction, a preface, six sections, and a conclusion. As for the introduction, it contained a brief overview of the virtue of the Holy Qur’an and its interest in talking about the issue of livelihood. As for the introduction, it included two requirements. The first: I explained in it - briefly - that God does not break His promise, no one says more truthfully than God. Secondly: I explained in it - briefly - the rules that relate to the issue of livelihood through the verses of the Holy Qur’an.

As for the six topics, they are the reasons that God Almighty promised abundant sustenance to whoever works on them, and they are: fearing God and worshiping Him, Spending for the sake of God, spreading throughout the land seeking sustenance, seeking forgiveness, giving thanks, and supplicating. The conclusion included the most important findings and recommendations, an index of references. The study confirmed that the believing servant should take the means of livelihood, and he must comply with what God has commanded while being certain of God Almighty's promise to him. No one is more faithful to his covenant than God, and if the Islamic nation complies with the command of God Almighty and applies His law, it will live a good life in prosperity, abundance and blessings in livelihood.

Keywords: promises, provision, abundance, livelihood.

المقدمة

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا﴾[1].

أَحمَدُه جل وعلا على نعمه التي لا تحصى، وأشكُرُه ﷻ على آلائه التي لا تزال تَتْرى، فﷻ مُتواتر إلينا فضله وإحسانه، وموصول إلينا بره وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصَفِيُّه من خلقه وحبيبه، قال في الحديث المتفق عليه: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ، لا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ"[2]، أرسله ربه رحمة للعالمين، وأنزل عليه الفرقان ليكون للعالمين نذيرا ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[3]، فصلاةً وسلامًا على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته، وسار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم أنزله الله ﷻ لإخراج الناس من الضلال إلى الهدى، ومن الظلمة إلى النور، قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ

---

(١) سورة الكهف: ١، ٢، ٣.

(٢) **"صحيح البخاري"** كتاب التوحيد- بَابُ قِرَاءَةِ الفَاجِرِ وَالمُنَافِقِ، وَأَصْوَاتُهُمْ وَتِلاَوَتُهُمْ لاَ تُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، ١٦٤/٩، رقم ٧٥٦٠، ط. طوق النجاة. **"صحيح مسلم"** كتاب صَلاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا- بَابُ فَضِيلَةِ حَافِظِ الْقُرْآنِ- ٥٤٩/١، رقم ٧٩٧، ط. دار إحياء التراث العربي، تحقيق: محمد عبد الباقي.

(٣) سورة الفرقان: ١.

ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[١]، وبين سبحانه أنَّ سعادة البشرية في الدنيا والآخرة تتوقف على العمل بهديه، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[٢]، فمن اتبع القرآن الكريم فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عنه فإن له معيشة ضنكا، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾[٣]، والله ﷻ ما ترك خيرا إلا وحثنا عليه، وما ترك شرا إلا وحذرنا منه، والقرآن الكريم اشتمل على ما يكفل الحياة الطيبة للبشرية كلها في الدنيا والآخرة، إذا هي ولت وجهها نحوه فعملت بمقتضاه، وامتثلت أمره، وإن من الأصول الهامة التي أكثر القرآن الكريم الحديث عنها، وعالجها معالجة شافية، مسألة الرزق، وكيف لا وما من إنسان على وجه الأرض إلا وقضية الرزق تشغل باله في الليل والنهار، ويخرج من بيته كل غداة ضاربا في الأرض مبتغيا رزق ربه، وساعيا لإعفاف نفسه وأهله عن المسألة، وكفاية نفسه وأهله بالمال الحلال، لذا نجد القرآن الكريم اهتم اهتماما بالغا بهذه القضية، فقد وردت مادة رزق بمشتقاتها في القرآن الكريم في ثلاثة وعشرين ومائة موضع[٤]، من هذه المواضع ورد اسم الله الرزاق في موضع واحد، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ

---

(١) سورة إبراهيم: ١.

(٢) سورة الإسراء: ٩.

(٣) سورة طه: الآيات ١٢٣: ١٢٧.

(٤) ينظر: "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم" لمحمد فؤاد عبد الباقي، ص ٣٨٢: ٣٨٤، ط. دار الحديث.

ٱلۡمَتِينُ﴾[١]، وورد اسمه تعالى خير الرازقين في خمسة مواضع[٢]، ومع أن الله ﷻ جعل الرزق غيبا لا يعلمه إلا هو، قائلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[٣]، إلا أنه طمأن عباده أنه تكفل برزق كل دابة في الأرض، فضلا منه وكرما على مخلوقاته، قائلا: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾[٤]، وقائلا: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[٥]، وأقسم سبحانه بأن ما قدره من أرزاق العباد حق لا مرية فيه، قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾[٦]، وأخبرنا النبي ﷺ أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها، قال رسول الله ﷺ: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبْعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إلا قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ وَيُبْعِدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إلا قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، وَإِنَّ الرُّوحَ الأمِينَ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلا يَحْمِلْكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ عَلَى أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللهِ، فَإِنَّهُ لا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلا

---

(١) سورة الذاريات: ٥٨.

(٢) سورة المائدة: ١١٤، سورة الحج: ٥٨، سورة المؤمنون: ٧٢، سورة سبأ: ٣٩، سورة الجمعة: ١١.

(٣) سورة لقمان: ٣٤.

(٤) سورة هود: ٦.

(٥) سورة العنكبوت: ٦٠.

(٦) سورة الذاريات: ٢٢، ٢٣.

بِطَاعَتِهِ"[1]، ولا يخفى على أحد ما يمر به العالم من موجة غلاء للأسعار، وقد بين لنا ربنا في كتابه أسبابا لسعة الرزق والبركة فيه، ووعد سبحانه من أخذ بهذه الأسباب، وامتثل ما فيها من أوامر برغد العيش، والحياة الطيبة، فأردت بفضل الله ومنته أن أقف مع هذه الوعود الربانية لعلنا بفضل الله ﷻ نجعلها قبلة لنا في حياتنا نعمل بها فننجو من تلك الأزمة العالمية، وجعلت بحثي بعنوان:

"وعود الرزاق في القرآن الكريم بسعة الأرزاق، جمعا ودراسة"

وحتى ينهض البحث بالمهمة التي أنيطت به، ويحقق الهدف الذي يصبو إليه، فقد قسمته إلى: مقدمة وتمهيد وستة مباحث وخاتمة ثم فهرس الموضوعات.

أما **المقدمة**: فاحتوت على نبذة مختصرة عن فضل القرآن الكريم، واهتمامه بقضية الرزق، وخطة البحث، ومنهجي فيه، وأسباب اختيار الموضوع.

وأما **التمهيد**: فاشتمل على مسألتين:

---

(١) أخرجه كل من: الإمام ابن أبي شيبة في "مصنفه" كتاب الزهد، مَا ذُكِرَ عَنْ نَبِيِّنَا ﷺ فِي الزُّهْدِ، ٧٩/٧، رقم ٣٤٣٣٢، ط. مكتبة الرشد، تحقيق: كمال يوسف الحوت. والإمام البزار في "مسنده" مسند حذيفة بن اليمان، عَاصِمٌ عَنْ زِرٍّ عَنْ حُذَيْفَةَ، ٣١٤/٧، رقم ٢٩١٤، ط. مكتبة العلوم والحكم، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله. والإمام الطبراني في "المعجم الكبير" ما أسند أبو أمامة، عُفَيْرُ بْنُ مَعْدَانَ، عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ، عن أبي أمامة، ١٦٦/٨، رقم ٧٦٩٤، ط. مكتبة ابن تيمية، تحقيق: حمدي عبد المجيد. والإمام أبو نعيم الأصبهاني، في "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" ٢٦/١٠، ٢٧، ط. دار السعادة. والإمام القضاعي في "مسند الشهاب" ١٨٥/٢، رقم ١١٥١، ط. مؤسسة الرسالة، تحقيق: حمدي عبد المجيد. والإمام البيهقي في "شعب الإيمان" ٤٠٦/٢، رقم ١١٤١، ط. مكتبة الرشد، تحقيق: مختار الندوي. والإمام البغوي في "شرح السنة" كتاب الرقاق، باب التوكل على الله ﷻ، ٣٠٤/١٤، رقم ٤١١٢، ط. المكتب الإسلامي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط. والحديث صحيح، رجاله ثقات.

المسألة الأولى: بين يدي وعود الله ﷻ في القرآن الكريم.

المسألة الثانية: القواعد العامة لقضية الرزق في القرآن الكريم.

وأما **المباحث الستة** فهي كما يلي:

المبحث الأول: تقوى الله وعبادته.

المبحث الثاني: الإنفاق في سبيل الله.

المبحث الثالث: الانتشار في الأرض سعيا على الرزق.

المبحث الرابع: الاستغفار.

المبحث الخامس: الشكر.

المبحث السادس: الدعاء.

وأما **الخاتمة**: فتشتمل على أهم النتائج والتوصيات، ومراجع البحث، وفهرس الموضوعات.

هذا وقد جمعت في بحثي بين المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي لوعود الله ﷻ في كتابه بسعة الرزق، والذي تمثل في النقاط الآتية:

أولًا: جمعت الوعود الصريحة والمستنبطة من آيات القرآن الكريم، وذلك من خلال قراءة القرآن الكريم كاملا بتدبر وتأمل، ومن خلال البحث عن مادة "رزق" ومشتقاتها في "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم".

ثانيًا: عنونت لكل مجموعة من الآيات التي اشتملت على وعد من الله ﷻ بعنوان مختصر، يعبر عن الأمر الذي اشتملت عليه الآيات، والذي جعله الله سببا لسعة الرزق، ووعد به عباده.

ثالثًا: جعلت هذه العناوين المختصرة مباحث البحث، مراعيا الاختصار في العنوان، وكذلك الاختصار في عدد المباحث، وذلك من غير إخلال بمتطلبات البحث.

رابعًا: قرأت في تفسير الآيات محل الدراسة أغلب كتب التفاسير، ثم اخترت أبرز قولين أو أكثر - حسبما يقتضيه البحث - من أقوال المفسرين، وذكرت هذه الأقوال معلقا بها على الآية الكريمة التي اشتملت على وعد من الله ﷻ لعباده.

خامسًا: راعيت في اختياري لما سطرته من أقوال المفسرين مدى خدمة هذا القول لبحثي، واشتماله على التصريح أو التلميح بوعد الله ﷻ لعباده بسعة الرزق.

سادسًا: تارة أنقل قول المفسر بنصه، وتارة أخرى أتصرف في النقل عنه، وقد ميزت ما تصرفت في نقله بكلمة: "ينظر" في الهامش.

سابعًا: قدمت بين يدي كل آية اشتملت على وعد من الله لعباده بعبارة من قولي، جعلتها تمهيدا للآية الكريمة، ولما سأذكره من أقوال أهل التفسير فيها.

ثامنًا: استشهدت ببعض الأحاديث النبوية الشريفة معضدا بها الآيات الكريمة التي اشتملت على وعود الله ﷻ لعباده بسعة الرزق، وتعقبت الأحاديث بالحكم عليها.

تاسعًا: ختمت كل مبحث بعبارة من قولي تعتبر فذلكة لما اشتمل عليه المبحث.

هذا ومن أهم أسباب اختيار هذا الموضوع، ما يلي:

أولًا: مواجهة أزمة الغلاء العالمية.

ثانيًا: إبراز الأسباب الشرعية لسعة الرزق.

ثالثًا: غرس اليقين في القلوب بوعود الله ﷻ.

رابعًا: بيان أن الأسباب الشرعية للرزق لا تقل أهمية عن الأسباب المادية.

خامسًا: غفلة كثير من الناس عن الأخذ بالأسباب الشرعية التعبدية لسعة الأرزاق.

سادسًا: بيان اهتمام القرآن الكريم بهذه القضية التي تشغل الحيز الأكبر من حياة البشرية.

سابعًا: لأتشرف بالمشاركة في المؤتمر العلمي الدولي الأول لكليتي العريقة.

التمهيد

المسألة الأولى: بين يدي وعود الله ﷻ في القرآن الكريم.

📖 وعود الله ﷻ إما دنيوية كوعده بالتمكين والنصر والرزق وإظهار دينه أو أخروية كوعده بالجنة ونعيمها للمتقين، ولا فرق بينهما فكل وعوده حق وصدق وواقعة لا محالة، والبون شاسع بين وعود البشر ووعود رب البشر، فالإنسان قد يعد إنسانا آخر بأمر ما ثم تحول الأسباب دون تحقيق هذا الوعد، كأن تضعف إمكانياته، أو يغير رأيه، أو ينسى، فهو لا يملك عناصر الوفاء كلها، ولا يملك من أمر الآخرة شيئا، أما وعود الله ﷻ فكلها حق، فلا تحول أسباب دون تحقيق وعده، بل هو خالق الأسباب، سبحانه جل في علاه، ولا يضل ولا ينسى، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، بل له ما في السماوات وما في الأرض، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، **قال الإمام الرازي** بعد ذكره لمناسبة الآية لما قبلها: فَثَبَتَ بِهَذَا الْبَيَانِ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ مُقَدِّمَةٌ تُوجِبُ الْجَزْمَ بِصِحَّةِ قَوْلِهِ: ﴿أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾.[2]، وتصدير الجملتين بحرف التنبيه لتنبيه الغافلين وإيقاظ الذاهلين عن هذه الحقائق القرآنية، **قال الإمام القرطبي**: ﴿أَلَآ﴾ كَلِمَةُ تَنْبِيهٍ لِلسَّامِعِ تُزَادُ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ، أَيِ: انْتَبِهُوا لِمَا أَقُولُ لَكُمْ: ﴿إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقّ﴾ ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾ [الحديد: ٢] فَلا مَانِعَ يَمْنَعُهُ مِنْ إِنْفَاذِ مَا وَعَدَهُ.[3]

---

(١) سورة يونس: ٥٥.

(٢) "مفاتيح الغيب" لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي، ت: ٦٠٦هـ، ٢٦٦/١٧، ط. دار إحياء التراث العربي.

(٣) ينظر: "الجامع لأحكام القرآن" لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ت: ٦٧١هـ، ٣٥٣/٨، ط. دار الكتب المصرية، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش.

📖 جملة ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقّ﴾ تكررت في القرآن الكريم عشر مرات(١)، وجملة ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ تكررت ثلاث مرات(٢)، وجملة ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ تكررت مرتين(٣)، وجملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ تكررت ثلاث مرات(٤)، وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٦)، وقال تعالى على سبيل الاستفهام الإنكاري: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾(٧)، فهذه حقائق قرآنية قاطعة صادقة، من شك فيها لم يُقَدِّر الله حق قدره، ولعل تكرارها وتنوع أسلوبها دعوة إلى الإيمان بها إيمانا قاطعا، واليقين بها يقينا جازما لا ينتابه شك.

📖 ومع هذا التكرار لصدق وعد الله ﷻ في كتابه، ضرب الله لنا أمثلة واقعية لوقوع وعده كما أخبر، فعلى سبيل المثال: في قصة نبي الله موسى عليه السلام في سورة القصص يقول ربنا لأم موسى عليه السلام: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ

---

(١) سورة يونس: ٥٥، سورة الكهف: ٢١، سورة القصص: ١٣، -في سورتي الكهف والقصص: [أَنَّ] بفتح الهمزة- سورة الروم: ٦٠، سورة لقمان: ٣٣، سورة فاطر: ٥، سورة غافر: ٥٥، ٧٧، سورة الجاثية: ٣٢، سورة الأحقاف: ١٧.

(٢) سورة النساء: ١٢٢، سورة يونس: ٤، سورة لقمان: ٩.

(٣) سورة التوبة: ١١١، سورة النحل: ٣٨. وفي سورة الكهف (الآية: ٩٨): ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾.

(٤) سورة آل عمران: ٩، سورة الرعد: ٣١. والثالثة في سورة الزمر: ٢٠، بلفظ: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾.

(٥) سورة الحج: جزء من الآية ٤٧.

(٦) سورة الروم: ٦.

(٧) سورة النساء: ٨٧. وفي الآية ١٢٢: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾.

إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[١]، فوعدها ربنا ﷻ بأنه سيرد ولدها موسى عليه السلام إليها، وأخبر سبحانه بذلك قائلا: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢]، وفي قصة قوم ثمود وعدهم ربهم على لسان نبيهم صالح عليه السلام بعدما عقروا الناقة بأن يعيشوا في بلدهم متمتعين بما فيه ثلاثة أيام فقط، وبعدها يحل بهم العذاب، وأخبر الله عن صدق وعده قائلا: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾[٣]، وكذلك وعد ﷻ المؤمنين بالجنة، والكافرين بالنار، وأخبر تعالى عن صدق وعده بهذا الحوار الذي يدور يوم القيامة بين أصحاب الجنة وأصحاب النار، قائلا: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٤].

📖 وأخبر ﷻ عن انقسام الناس تجاه التصديق بوعده سبحانه إلى قسمين، قسم على يقين بوعد الله سبحانه وهم المؤمنون الصادقون، يقولون كما أخبر الله عنهم: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾[٥]، وقسم شاك في وعده سبحانه وهم

---

(١) سورة القصص: ٧.

(٢) سورة القصص: ١٣.

(٣) سورة هود: ٦٥: ٦٨.

(٤) سورة الأعراف: ٤٤.

(٥) سورة الأحزاب: جزء من الآية ٢٢.

المنافقون والذين في قلوبهم مرض، يقولون: ﴿ما وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾[١]، وإن كان هذا التقسيم حدث في غزوة الأحزاب، إلا أنه في كل أزمة وشدة وابتلاء تتمايز صفوف الناس، بل صفوف المؤمنين، ليعلم الله الذين صدقوا، وليعلم الكاذبين، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾[٢]، **قال الإمام محمد سيد طنطاوي**: ليس من شأن الله- تعالى- ولا من حكمته وسنته في خلقه أن يترككم أيها المؤمنون على ما أنتم عليه من الالتباس واختلاط المنافقين بكم، بل الذي من شأنه وسنته أن يبتليكم ويمتحنكم بألوان من المصائب والشدائد حتى يتميز المؤمنون من المنافقين، وينفصل الأخيار عن الأشرار.[٣]

قلت: ومن الشدائد التي يبتلي الله بها عباده القحط ونقص الثمرات والغلاء، وغيرها من الأمور التي تتعلق بالأموال، فالمؤمنون الصادقون ينظرون إلى وعود الله ببسط الرزق وسعته نظرة إيمانية إيجابية، فيوقنون بوقوعها، وأن وعده حق وصدق، ولا ناقض له، لأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، أما المنافقون فينظرون نظرة متشككة سلبية، لعدم تصورهم لعظم قدرة الله وقوته، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

المسألة الثانية: القواعد العامة لقضية الرزق في القرآن الكريم.

📖 الله هو الذي خلق الخلق ورزقهم، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٤]، وخاطب ربنا الناس جميعا قائلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ

---

(١) سورة الأحزاب: جزء من الآية ١٢.

(٢) سورة آل عمران: جزء من الآية ١٧٩.

(٣) "التفسير الوسيط" لمحمد سيد طنطاوي، ٣٥٠/٢، ط. دار نهضة مصر.

(٤) سورة الروم: ٤٠.

مِنۢ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾[1]، والإيمان بأن الله هو الرزاق جزء من توحيد الربوبية، وقد أقر به الكافرون، قال تعالى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[2]، وألزم الله الخلق الحجة وتحداهم بأنه لا يستطيع أحد أن يوصل لهم الرزق إن أمسكه سبحانه عنهم، قائلا: ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٖ﴾[3].

📖 ولأهمية هذه القضية التي هي جزء من عقيدة المؤمن، بيَّن الله ﷻ القواعد والضوابط العامة التي ينبغي على كل مؤمن أن يؤمن بها إيمانا جازما، وأن يوقن فيها يقينا لا مرية فيه، وأتحدث في السطور القادمة بإيجاز عن هذه القواعد:

القاعدة الأولى: تكفل الله بأرزاق المخلوقات:

📖 هذه القاعدة تغرس في قلب كل مؤمن الثقة في رزق الله له، فلا يحمل همًّا، ولا يخشى على فوات رزق، ولا نقصانه، ولو كان يسيرا، فلقد تكفل الله تفضلا منه ورحمة برزق كل الدواب، فما على العبد إلا أن يأخذ بأسباب السعي المشروعة، وقلبه متوكل على الله، واثق برزق الله المقدر له، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي

---

(١) سورة فاطر: ٣.

(٢) سورة يونس: ٣١.

(٣) سورة الملك: ٢١.

كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[١]، **قال الإمام أبو السعود**: وإنما جيء به على طريق الوجوبِ اعتباراً لسبق الوعدِ، وتحقيقاً لوصوله إليها البتة، وحملاً للمكلّفين على الثقة به تعالى.[٢]

وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[٣]، **قال الإمام ابن كثير**: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا﴾ أَيْ: لا تطيق جمعه وتحصيله، ولا تدخر شَيْئًا لِغَدٍ، ﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ أَيِ: اللهُ يُقَيِّضُ لَهَا رِزْقَهَا عَلَى ضَعْفِهَا وَيُيَسِّرُهُ عَلَيْهَا، فَيَبْعَثُ إِلَى كُلِّ مَخْلُوقٍ مِنَ الرِّزْقِ مَا يُصْلِحُهُ، حَتَّى الذَّرِّ فِي قَرَارِ الأَرْضِ، وَالطَّيْرِ فِي الهواء والحيتان في الماء.[٤]، ولذلك نهى الله أولئك الذين يقتلون أولادهم خشية الفقر عن هذا الفعل الشنيع، قائلا: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـًٔا كَبِيرٗا﴾[٥]، وضمن لهم سبحانه أرزاق الأولاد قبل أرزاقهم، فرزقك آتيك لا محالة.

📖 وبين ﷻ على لسان نبيه ﷺ أنه لن تموت نفس حتى تستنفذ ما قدر لها من رزق، وسبق ذكر الحديث في التمهيد، وقال النبي ﷺ: "إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُكْتَبُ عَمَلُهُ، وَأَجَلُهُ، وَرِزْقُهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الجَنَّةَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ

---

(١) سورة هود: ٦.

(٢) "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" لأبي السعود العمادي، ت: ٩٨٢هـ، ١٨٦/٤، ط. دار إحياء التراث.

(٣) سورة العنكبوت: ٦٠.

(٤) "تفسير القرآن العظيم" لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ت: ٧٧٤هـ، ٢٦٣/٦، ط. دار الكتب العلمية.

(٥) سورة الإسراء: ٣١.

أَهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ"[(١)]، فلن يموت إنسان حتى يستكمل رزقه الذي قدره الله له.

القاعدة الثانية: الرزق بيد الله وحده:

📖 هذا أصل عظيم يجب اعتقاده، فلا تملك نفس رزقا لنفس أخرى، ولا تملك نفس منع رزق عن نفس أخرى، بل لا تملك نفس لذاتها رزقا، فالرزق بيد الله وحده لا شريك له، وهذه القاعدة تجعل المؤمن مطمئنا لا يخاف تهديدا من بشر بقطع رزقه، فالرزاق هو الله، ولا تملك نفس لنفس شيئا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[(٢)]، **قال الإمام الطاهر ابن عاشور:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ طَرِيقُ قَصْرٍ لِوُجُودِ ضَمِيرِ الْفَصْلِ، أَيْ: لا رَزَّاقَ، وَلا ذَا قُوَّةٍ، وَلا مَتِينَ إِلا اللهُ.[(٣)]، وقال تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[(٤)]، **قال الإمام ابن عطية:** قال واصل الأحدب ومجاهد: أراد القضاء والقدر، أي: الرزق عند الله يأتي به كيف يشاء، لا رب غيره.[(٥)]، لذا أنكر الله على المشركين عبادتهم غيره ممن لا يملكون لهم أي رزق، قائلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ

---

(١) **"صحيح البخاري"** كتاب أحاديث الأنبياء- بَابُ خَلْقِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَذُرِّيَّتِهِ، ١٣٣/٤، رقم ٣٣٣٢. **"صحيح مسلم"** كتاب القدر- بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ- ٢٠٣٦/٤، رقم ٢٦٤٣.

(٢) سورة الذاريات: ٥٨.

(٣) "التحرير والتنوير" لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي، ت: ١٣٩٣هـ، ٢٩/٢٧، ط. الدار التونسية.

(٤) سورة الذاريات: ٢٢، ٢٣.

(٥) "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية، ت: ٥٤٢هـ، ١٧٦/٥، ط. دار الكتب العلمية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي.

لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[١]، **قال الإمام الزمخشري**: فإن قلت: لم نَكَّرَ الرزق ثم عَرَّفَه؟ قلت: لأنه أراد لا يستطيعون أن يرزقوكم شيئا من الرزق، فابتغوا عند الله الرزق كله، فإنه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره.[٢]

القاعدة الثالثة: الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر:

📖 هذه القاعدة جاءت في كتاب الله ﷻ في تسعة مواضع[٣]، فالله ﷻ هو الذي يتصرف في أرزاق العباد كيف يشاء، يوسع على من يشاء، فيبسط له الرزق، ويضيق على من يشاء، فهو الخبير البصير بأحوال عباده، العليم بما يصلحهم، الحكيم في منعه وعطائه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾[٤]، والله ﷻ يقسم أرزاق العباد ومعيشتهم كيف ما يشاء حسب علمه وحكمته ورحمته سبحانه، قال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[٥]، ويفضل سبحانه بعض العباد على بعض في الرزق، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ﴾[٦].

---

(١) سورة العنكبوت: جزء من الآية ١٧.

(٢) "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ت: ٥٣٨هـ، ٤٤٧/٣، ط. دار الكتاب العربي.

(٣) سورة الرعد: ٢٦، سورة الإسراء: ٣٠، سورة القصص: ٨٢، سورة العنكبوت: ٦٢، سورة الروم: ٣٧، سورة سبأ: ٣٦، ٣٩، سورة الزمر: ٥٢، سورة الشورى: ١٢.

(٤) سورة الشورى: ٢٧.

(٥) سورة الزخرف: ٣٢.

(٦) سورة النحل: ٧١.

وليس البسط والعطاء دليل حب واصطفاء، ولا المنع والتقتير دليل سخط وغضب، فقد يوسع الله على أهل الضلال، فتنة وابتلاء لهم، ويقدر على أهل الإيمان كذلك، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾[1]، فكلاهما ابتلاء واختبار ليعلم الله ﷻ الشاكر الصابر من غيره، بل أنكر الله ﷻ على أهل الضلال والشرك ظنَّهم أن ما يعطيهم سبحانه من الدنيا إكراما لهم ورضا عنهم، قائلا: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾[2]، بل بين ﷻ أنه لولا أن يكون الناس كلهم كفارا لخص الكافرين بالمال والرفاهية، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾[3].

القاعدة الرابعة: الرزق يُمْحَقُ بالمعصية ويُبَارَكُ فيه بالطاعة:

هذه قاعدة هامة في قضية الرزق ينبغي أن يضعها المؤمن نصب عينيه، ولقد بين الله لنا في كتابه ذلك بيانا شافيا، وضرب لنا الأمثلة على ذلك، قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[4]، **قال الشيخ السعدي**: يذهبه ويذهب بركته ذاتا ووصفا،

---

(١) سورة الفجر: ١٥: ١٧.

(٢) سورة المؤمنون: ٥٥، ٥٦.

(٣) سورة الزخرف: ٣٣.

(٤) سورة البقرة: ٢٧٦.

فيكون سببا لوقوع الآفات فيه، ونزع البركة عنه، وإن أنفق منه لم يؤجر عليه بل يكون زادا له إلى النار.(١)

وذكر لنا ربنا ﷻ قصصا كثيرة في كتابه الكريم لرجال وأقوام أترفوا وتمتعوا بأنواع المال في هذه الحياة الدنيا ثم محق ودمر كل هذا النعيم بسبب معاصيهم، منها -على سبيل المثال-: قصة صاحب الجنتين، وما حل بجنتيه من دمار شامل بسبب كفره نعمة ربه، وما حل بقارون عندما اغتر بماله وتكبر به على قومه، وما حل بقوم سبأ، وقد رزقهم الله بجنتين كثيرتي الثمار، فلما أعرضوا زالت عنهم نعمة الله ﷻ، وما حل بالأمم السابقة الكافرة كعاد وثمود ومدين من عذاب وهلاك بعد ما كانوا مترفين بألوان الغنى ورغد العيش، وقال ربنا في ختام قصصهم: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ﴾(٢)، وضرب الله لنا مثلا، قائلا: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾(٣)، **قال الإمام البيضاوي**: أي: جعلها مثلاً لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا، فأنزل الله بهم نقمته، أو لمكة.(٤)، فمن تأمل حال هؤلاء علم يقينا عظم ما يترتب على المعصية من ضنك المعيشة، ومحق البركة، بل وزوال النعمة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا

---

(١) "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، ت: ١٣٧٦هـ، ص١١٦، ط. مؤسسة الرسالة، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق.

(٢) سورة الأعراف: جزء من الآية ٩٢. سورة هود: جزء من الآية ٦٨، ٩٥.

(٣) سورة النحل: ١١٢.

(٤) "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" لناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، ت: ٦٨٥هـ، ٣/٢٤٢، ط. دار إحياء التراث العربي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي.

وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾[١]، والعكس صحيح، قال ربنا: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٢].

📖 مما سبق يتبين بجلاء القواعد العامة التي تحدث عنها القرآن الكريم في قضية الرزق، والتي ينبغي أن يوقن بها كل مؤمن بالله واليوم الآخر، وخلال الصفحات القادمة بإذن الله سأقف مع الطاعات والقربات التي جعلها الله سببا لزيادة الرزق، والبركة فيه، فنحيا حياة طيبة في الدنيا، ونسأل الله الفردوس الأعلى من الجنة.

---

(١) سورة طه: ١٢٤.

(٢) سورة النحل: ٩٧.

المبحث الأول: تقوى الله وعبادته

الوِقَايَةُ: حفظُ الشيءِ ممّا يؤذيه ويضرّه، وحقيقة التقوى جعل النفس في وقاية من كل ما يبعد عن الله تعالى، وذلك يكون باجتناب المنهيات وامتثال المأمورات(١)، فتقوى الله أن يجعل العبد بينه وبين عذاب الله وغضبه وقاية، بامتثال أمره سبحانه واجتناب نهيه، وهي الغاية من العبادة، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٢)، وتقوى الله حق تقاته كما قال سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ: أَنْ يُطَاعَ فلا يُعْصَى، وَأَنْ يُذْكَرَ فلا يُنْسَى، وَأَنْ يُشْكَرَ فَلا يُكْفَر.(٣)

---

(١) ينظر: "المفردات في غريب القرآن" لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ت: ٥٠٢هـ، ص٨٨١، ط. دار القلم، تحقيق: صفوان عدنان. "تفسير الراغب الأصفهاني" للراغب الأصفهاني، ١١١/١، ط. كلية الآداب جامعة طنطا. "التحرير والتنوير" لابن عاشور، ٢٨٨/٢٨.

(٢) سورة البقرة: ٢١.

(٣) حديث موقوف على عبد الله بن مسعود ﷺ، أخرجه كل من: الإمام ابن أبي شيبة في "مصنفه" كتاب الزهد، كلام ابن مسعود ﷺ، ١٠٦/٧، رقم ٣٤٥٥٣. والإمام أبو داود في "الزهد" من خبر ابن مسعود ﷺ، ص١٤٧، رقم ١٤٥. والإمام النسائي في "السنن الكبرى" كتاب المواعظ، ٤٠٤/١٠، رقم ١١٨٤٧. والإمام الطبراني في "المعجم الكبير" باب العين، من مناقب ابن مسعود، ٩٢/٩، رقم ٨٥٠١. والإمام الحاكم في "المستدرك" كتاب التفسير، وَمِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، ٣٢٣/٢، رقم ٣١٥٩، وقال عقبه: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ. ووافقه الذهبي. والإمام أبو نعيم الأصبهاني في "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" ٢٣٨/٧. والإمام البيهقي في "القضاء والقدر" ص٢٣٠، رقم ٢٩٢. قلت: حديث موقوف على عبد الله بن مسعود صحيح الإسناد.

والعبادة: غاية التذلل والخضوع، ولا يستحقّها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى، ولهذا قال: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾[١]، يقال: طريق مُعَبَّد، أي: مذلل وطأته الأقدام، والعبادة فعل ما يرضى به الله[٢]، فكل قول أو فعل أو حال يحبه الله ويرضاه، يسمى عبادة.

📖 وعد الله سبحانه ﷻ المتقين بالرزق من حيث لا يحتسبون، أي: من وجه لا يخطر ببالهم، ولا يظنون أنهم يرزقون منه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ﴾[٣]، فالله ﷻ يسوق الرزق لمن يتقونه، وييسر لهم أسبابه، من حيث لا يحتسبون، وفي هذا النوع من الرزق سعة لا تخفى على كل ذي لب، **قال الإمام الطبري**: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ﴾ يقول: ويسبب له أسباب الرزق من حيث لا يشعر، ولا يعلم.[٤]، **وقال الإمام ابن جزي**: قال بعض العلماء: الرزق على نوعين: رزق مضمون لكل حي طول عمره، وهو الغذاء الذي تقوم به الحياة، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾، ورزق موعود للمتقين خاصة، وهو المذكور في هذه الآية.[٥]

📖 وهذا الوعد من رب العالمين أتي بعد آية الطلاق، الذي هو مظنة التقتير في النفقة من قبل الزوج، ليطمئن الله قلوب عباده المتقين بوعده لهم بسعة الرزق، **قال الإمام ابن عاشور**: وَلَمَّا كَانَ

---

(١) سورة هود: جزء من الآية ٢.

(٢) ينظر: "المفردات في غريب القرآن" للراغب الأصفهاني، ص٥٤٢. "أنوار التنزيل" للبيضاوي، ٢٩/١. "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" لأبي السعود، ١٦/١.

(٣) سورة الطلاق: جزء من الآية ٢، ٣.

(٤) "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" لأبي جعفر، محمد بن جرير الطبري، ت: ٣١٠هـ، ٤٢/٢٣، ط. دار هجر.

(٥) "التسهيل لعلوم التنزيل" لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي، ت: ٧٤١هـ، ٣٨٥/٢، ط. دار الأرقم بن أبي الأرقم.

مِنْ دَوَاعِي الْفِرَاقِ وَالْخِلافِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ مَا هُوَ مِنَ التَّقْتِيرِ فِي الإِنْفَاقِ لِضِيقِ ذَاتِ الْيَدِ فَكَانَ الإِحْجَامُ عَنِ الْمُرَاجَعَةِ عَارِضًا كَثِيرًا لِلنَّاسِ بَعْدَ التَّطْلِيقِ، **أُتْبِعَ الْوَعْدُ بِجَعْلِ الْمَخْرَجِ لِلْمُتَّقِينَ بِالْوَعْدِ بِمَخْرَجٍ خَاصٍّ وَهُوَ مَخْرَجُ التَّوْسِعَةِ فِي الرِّزْقِ**، وَقَوْلُهُ: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ احْتِرَاسٌ لِئَلا يَتَوَهَّمَ أَحَدٌ أَنَّ طُرُقَ الرِّزْقِ مُعَطَّلَةٌ عَلَيْهِ فَيَسْتَبْعِدَ ذَلِكَ فَيُمْسِكَ عَنْ مُرَاجَعَةِ الْمُطَلَّقَةِ لأَنَّهُ لا يَسْتَقْبِلُ مَالا يُنْفِقُ مِنْهُ، **فَأَعْلَمَهُ اللهُ أَنَّ هَذَا الرِّزْقَ لُطْفٌ مِنَ اللهِ، وَاللهُ أعلم كَيفَ يهيئ لَهُ أسبابا غير مرتقبة**، فَمَعْنَى ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾: مِنْ مَكَانٍ لا يَحْتَسِبُ مِنْهُ الرِّزْقَ، أَيْ: لا يَظُنُّ أَنَّهُ يُرْزَقُ مِنْهُ.(١)

قلت: إذن في الآية الكريمة وعد للمتقين بمخرجين، عام من هموم الدنيا والآخرة، وخاص بتوسعة الرزق لهم بطريق لا يخطر لهم على بال، وصدق النبي ﷺ حين قرأ هذه الآية الكريمة، وظل يرددها قائلا: "يَا أَبَا ذَرٍّ، لَوْ أَنَّ النَّاسَ أَخَذُوا بِهَا لَكَفَتْهُمْ"(٢).

---

(١) "التحرير والتنوير" لابن عاشور، ٣١٢/٢٨.

(٢) حديث مرفوع، أخرجه كل من: الإمام أحمد في "مسنده" مسند الأنصار، حديث أبي ذر الغفاري ﷺ، ٤٣٦/٣٥، رقم ٢١٥٥١. والإمام الدارمي في "مسنده" ومن كتاب الرقاق، بَابُ: فِي تَقْوَى اللهِ، ١٧٩٢/٣، رقم ٢٧٦٧. والإمام ابن ماجة في "سننه" كتاب الزهد، بَابُ الْوَرَعِ وَالتَّقْوَى، ١٤١١/٢، رقم ٤٢٢٠. والإمام النسائي في "السنن الكبرى" كتاب التفسير، سورة الطلاق، ٣٠٥/١٠، رقم ١١٥٣٩. والإمام ابن حبان في "صحيحه" تابع كتاب التاريخ، ٥٣/١٥، رقم ٦٦٦٩. والإمام الحاكم في "المستدرك" كتاب التفسير، تَفْسِيرُ سُورَةِ الطلاق، ٥٣٤/٢، رقم ٣٨١٩، وقال عقبه: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. ووافقه الذهبي قائلا: صحيح. والإمام أبو نعيم الأصبهاني في "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" ١٦٦/١. والإمام البيهقي في "شعب الإيمان" ٤٧٦/٢، رقم ١٢٦٩. والإمام الهيثمي في "موارد الظمآن" كتاب الإمارة، باب ما جاء في السمع والطاعة، ص٣٧١، رقم ١٥٤٧. قلت: حديث مرفوع إلى النبي ﷺ ضعيف الإسناد لانقطاعه، فمدار الروايات كلها على أَبِي السَّلِيلِ ضُرَيْبِ بْنِ نُقَيْرٍ الْقَيْسِيِّ عن أَبِي ذَرٍّ، وهو لم يدركه ولم يسمع منه، قال الإمام ابن حجر في ترجمة =

ووعد الله أهل القرى بالبركات من السماء والأرض وسعة الرزق سعة عظيمة إذا أقاموا شرع الله ﷻ، فامتثلوا الأمر واجتنبوا النهي، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[1]، **قال عبد الكريم الخطيب**: هو تعقيب على ما حل بالظالمين من بلاء ونكال، ثم هو وعيد المشركين من أهل مكة وما حولها من القرى، فهؤلاء الذين أخذوا بظلمهم، لو أنهم آمنوا بالله، وصدقوا رسله، واتقوا محارم الله، وأقاموا شريعته، لكانوا في عافية من أمرهم، وفي سعة من رزقهم، ولفتح الله عليهم بركات من السماء التي رمتهم بالصواعق، وبركات من الأرض التي زلزلت بهم، ورجفت، وفغرت أفواهها لابتلاعهم، أفلا يكون في هؤلاء القوم عبرة لمعتبر، وذكرى لمن يتذكر؟ .[2]

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[3]، يبين الله ﷻ في هاتين الآيتين ما سيفوز به اليهود والنصارى من سعادات الدنيا والآخرة إذا آمنوا واتقوا وعملوا بما أنزل إليهم من ربهم، وعبر سبحانه عن سعة الرزق ورغد العيش بالأكل من فوقهم، أي: تعطيهم السماء مطرها وبركتها، ومن تحت أرجلهم، أي: تعطيهم الأرض نباتها وخيرها، فيعمهم الرزق من كل جهة، **قال الإمام الزمخشري**: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ أقاموا أحكامهما وحدودهما

ضريب: وأرسل عن أبي ذر وأبي هريرة وابن عباس. "تهذيب التهذيب" ٤٥٨/٤. هذا وإن كان الحديث ضعيف السند إلا أن متنه يؤخذ به ويعمل به، فهو يتسق مع صريح الكتاب والسنة.

(١) سورة الأعراف: ٩٦.

(٢) "التفسير القرآني للقرآن" لعبد الكريم الخطيب، ت: ١٣٩٠هـ، ٤٣٨/٥، ط. دار الفكر.

(٣) سورة المائدة: ٦٥، ٦٦.

وما فيهما من نعت رسول الله ﷺ، ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم﴾ من سائر كتب الله، لوسع الله عليهم الرزق، وكانوا قد قحطوا، وقوله: ﴿لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡۚ﴾ عبارة عن التوسعة.(١)، **وقال الإمام القرطبي**: الْمَعْنَى: لوسعنا عليهم في أرزاقهم ولأكلوا أَكْلا مُتَوَاصِلا، وَذِكْرُ فَوْقَ وَتَحْتَ لِلْمُبَالَغَةِ فِيمَا يُفْتَحُ عَلَيْهِمْ مِنَ الدُّنْيَا، وَنَظِيرُ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾، ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا﴾ [الجن: ١٦]، ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، فَجَعَلَ تَعَالَى التُّقَى مِنْ أَسْبَابِ الرِّزْقِ كَمَا فِي هَذِهِ الآيَاتِ.(٢)

📖 ومع هذا البيان المبين في وعود الله السابقة، ساق القرآن الكريم أخبار أقوام لم يتقوا ربهم، واصفا القوة والنعيم الذي كانوا فيه، ولكنهم أهلكوا وزال عنهم ما هم فيه من بسطة في الجسم وسعة في الرزق، بسبب كفرهم وعدم إيمانهم، وأنشأ الله من بعدهم أقواما آخرين، وحض الله عباده على الاعتبار بهم، قائلا: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ﴾(٣)، **قال الإمام الزمخشري**: والمعنى: لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عاداً وثمود وغيرهم، من البسطة في الأجسام، والسعة في الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا.(٤)، **قال الإمام الرازي**: وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ هَذِهِ الأَوْصَافِ أَنَّهُمْ وَجَدُوا مِنْ مَنَافِعِ الدُّنْيَا

---

(١) ينظر: "الكشاف" للزمخشري، ٦٥٨/١.

(٢) ينظر: "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي، ٢٤١/٦.

(٣) سورة الأنعام: ٦.

(٤) "الكشاف" للزمخشري، ٦/٢.

أَكْثَرَ مِمَّا وَجَدَهُ أَهْلُ مَكَّةَ، ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَى أَنَّهُمْ مَعَ مَزِيدِ الْعِزِّ فِي الدُّنْيَا بِهَذِهِ الْوُجُوهِ، وَمَعَ كَثْرَةِ الْعَدَدِ وَالْبَسْطَةِ فِي الْمَالِ وَالْجِسْمِ، جَرَى عَلَيْهِمْ عِنْدَ الْكُفْرِ مَا سَمِعْتُمْ، وَهَذَا الْمَعْنَى يُوجِبُ الاعْتِبَارَ وَالانْتِبَاهَ مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ وَرَقْدَةِ الْجَهَالَةِ.(١)

📖 مما سبق يتبين بجلاء أن تقوى الله ﷻ وامتثال أمره واجتناب نهيه من أعظم أسباب سعة الرزق وبسطه والبركة فيه، ومن الآيات الكريمة التي تؤيد هذا المعنى أيضا قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٣)، ففي الآية الأولى وعد صريح من الله ﷻ بالحياة الطيبة لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات فيمتثلون الأمر، ويجتنبون النهي، والحياة الطيبة الموعود بها هي الرزق الطيب في الدنيا، كما فسرها حبر الأمة وترجمان القرآن سيدنا عبد الله بن عباس ﷺ(٤)، وتفسيره مؤيد بقول النبي ﷺ: "إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أُطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا،

---

(١) "مفاتيح الغيب" للرازي، ٤٨٥/١٢.

(٢) سورة النحل: ٩٧.

(٣) سورة النحل: ٣٠.

(٤) أثر موقوف على ابن عباس، أخرجه كل من: الإمام عبد الرزاق الصنعاني في "تفسيره" ٢٧٧/٢، رقم ١٥١٣. والإمام أبو داود في "الزهد" ص٢٩٧، رقم ٣٤٢. والإمام الطبري في "تفسيره" ٣٥٠/١٤، ٣٥١. والإمام أبو نعيم في "حلية الأولياء" ١١٤/٧. قال الإمام عبد الرزاق: عَنِ الثَّوْرِيِّ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ سُمَيْعٍ، عَنْ أَبِي الرَّبِيعِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ﴾ قَالَ: "الرِّزْقُ الطَّيِّبُ فِي الدُّنْيَا، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم ﴾ فِي الآخِرَةِ.

وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّ اللهَ يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الآخِرَةِ، وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ"[(١)]، وفي الآية الثانية وعد للمتقين الذين أحسنوا أقوالهم وأعمالهم بحسنة في الدنيا قبل خير الآخرة، **قال الإمام ابن عاشور**: وَحَسَنَةُ الدُّنْيَا هِيَ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ وَمَا فَتَحَ اللهُ لَهُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَعَ نِعْمَةِ الإِيمَانِ، وَخَيْرُ الآخِرَةِ هُوَ النَّعِيمُ الدَّائِمُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.[(٢)]

📖 وقد يظن البعض أن الالتزام بطاعة الله وعبادته يُشْغِل أو يمنع عن الرزق، بل قد يترك الكثيرون الطاعات ويفرطون في عبادة الله من أجل الضرب في الأرض جريا وراء أرزاقهم، فأمثال هؤلاء لو تأملوا القرآن لوجدوا الربط الواضح الصريح بين العبادة والرزق، قال الله ﷻ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[(٤)]، فلقد ضمن الله لرسوله ولعباده الرزق، فلا تنشغل بالرزق عن إقامة الدين، بل أمر الله المؤمنين أن يستعينوا على قضاء حوائجهم الدنيوية والدينية بعبادته، قائلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[(٥)]، ففرغ قلبك لأمر الآخرة مع الأخذ بأسباب السعي المشروعة، والتي منها بل أعظمها عبادة الله ﷻ، **قال الإمام القرطبي**: قوله

---

(١) "**صحيح مسلم**" كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ- بَابُ جَزَاءِ الْمُؤْمِنِ بِحَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَتَعْجِيلِ حَسَنَاتِ الْكَافِرِ فِي الدُّنْيَا- ٤/٢١٦٢، رقم ٢٨٠٨.

(٢) "التحرير والتنوير" لابن عاشور، ١٤/١٤٢، ١٤٣.

(٣) سورة طه: ١٣٢.

(٤) سورة الذاريات: ٥٦: ٥٨.

(٥) سورة البقرة: ١٥٣.

تعالى: ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾ أي: لا نسألك أَنْ تَرْزُقَ نَفْسَكَ وَإِيَّاهُمْ، وَتَشْتَغِلَ عَنِ الصَّلاةِ بِسَبَبِ الرِّزْقِ، بَلْ نَحْنُ نَتَكَفَّلُ بِرِزْقِكَ وَإِيَّاهُمْ.(١)، **وقال الإمام محمد سيد طنطاوي**: قوله سبحانه: ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ تشجيع وتحريض للمؤمنين على إقامة الصلاة، ودفع لما يتوهمه البعض من أن المداومة على إقامة الصلاة قد تشغل الإنسان عن السعي في طلب المعاش.(٢)

📖 ومن العبادات التي حث الله عباده عليها، ووعدهم بالغنى إذا أقاموها: النكاح، فقد أمر الله الأولياء والسادة أن يزوجوا من لا زوج له من الرجال المسلمين أو النساء المسلمات، وألا يمنعهم فقرهم من إتمام النكاح، فإنهم إن يكونوا فقراء فالله يغنيهم من فضله إن شاء ﷻ، فالناكح الذي يريد العفاف، ويبتغي رضا الله ﷻ، موعود من الرزاق سبحانه بسعة رزقه والغنى، قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾(٣)، **قال الإمام ابن عطية**: هذه الآية وعد بالإغناء، كما وعد به مع التفرق في قوله: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ﴾ [النساء: ١٣٠]، ونفحات رحمة الله مأمولة في كل حال موعود بها.(٤)، **وقال عبد الكريم الخطيب**: إن يكن هؤلاء المذكورون صالحين للزواج، وراغبين فيه طلبا للتعفف، ولكن يمنعهم خوف الفقر والحاجة، وعدم القدرة على حمل أعباء الزوجية، وما تجيء به من ذرية- إن يكن هذا صارفا لهم عن التزوج- فليتزوجوا، والله ﷻ يعدهم

---

(١) "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي، ٢٦٣/١١.

(٢) "التفسير الوسيط" لمحمد سيد طنطاوي، ١٧٠/٩.

(٣) سورة النور: ٣٢.

(٤) ينظر: "المحرر الوجيز" لابن عطية، ١٨٠/٤.

سعة الرزق، ودفع الضرّ الذي يتوقعونه من الزواج، ما دامت نيتهم قائمة على طلب مرضاة الله، وحفظ الفروج بهذا الزواج.(١)، **وقال الإمام ابن عاشور**: وَعَدَ اللهُ الْمُتَزَوِّجَ مِنْ هَؤُلاءِ إِنْ كَانَ فَقِيرًا أَنْ يُغْنِيَهُ اللهُ، وَإِغْنَاؤُهُ تَيْسِيرُ الْغِنَى إِلَيْهِ إِنْ كَانَ حُرًّا، وَتَوْسِعَةُ الْمَالِ عَلَى مَوْلاهُ إِنْ كَانَ عَبْدًا فَلا عُذْرَ لِلْوَلِيِّ وَلا لِلْمَوْلَى أَنْ يَرُدَّ خِطْبَتَهُ فِي هَذِهِ الأَحْوَالِ، وَإِغْنَاءُ اللهِ إِيَّاهُمْ تَوْفِيقُ مَا يَتَعَاطَوْنَهُ مِنْ أَسْبَابِ الرِّزْقِ الَّتِي اعْتَادُوهَا مِمَّا يَرْتَبِطُ بِهِ سَعْيُهُمُ الْخَاص من مُقَارنَة الأَسْبَابِ الْعَامَّةِ أَوِ الْخَاصَّةِ الَّتِي تُفِيدُ سَعْيَهُمْ نَجَاحًا وَتِجَارَتَهُمْ رَبَاحًا، وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللهَ تَكَفَّلَ لَهُمْ أَنْ يَكْفِيَهُمْ مُؤْنَةَ مَا يَزِيدُهُ التَّزَوُّجُ مِنْ نَفَقَاتِهِمْ.(٢)

📖 وختام الآية الكريمة بصفتي الواسع العليم دليل صريح واضح على سعة الله في الرزق لهؤلاء، وعلمه سبحانه بمن يستحق التوسعة من غيره، **قال الإمام البيضاوي**: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ ذو سعة لا تنفد نعمته إذ لا تنتهي قدرته، ﴿عَلِيمٌ﴾ يبسط الرزق ويقدر على ما تقتضيه حكمته.(٣)، **وقال الإمام محمد سيد طنطاوي**: زوجوا أيها الأولياء والسادة من كان أهلا للزواج، وصالحا له وراغبا فيه، من رجالكم ونسائكم، ولا يمنعكم فقرهم من إتمامه، فإنهم إن يكونوا فقراء اليوم، فالله تعالى قادر على أن يغنيهم في الحال أو في المستقبل متى شاء ذلك، فإن قدرته ﷻ لا يعجزها شيء، وكم من أناس كانوا فقراء قبل الزواج، ثم صاروا أغنياء بعده، لأنهم قصدوا بزواجهم حفظ فروجهم، وتنفيذ ما أمرتهم به شريعة الإسلام، روى الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاثة حق على الله عونهم: الناكح يريد العفاف، والمكاتب

---

(١) "التفسير القرآني للقرآن" لعبد الكريم الخطيب، ١٢٧١/٩.

(٢) "التحرير والتنوير" لابن عاشور، ٢١٧/١٨.

(٣) "أنوار التنزيل" للبيضاوي، ١٠٥/٤.

يريد الأداء، والغازي في سبيل الله"[(١)]، فهذا عهد أخذه الله تعالى على ذاته فضلا منه وكرما ولن يخلف الله ﷻ عهده.[(٢)]

📖 ولقد وصف الله المؤمنين الصادقين قائلا: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾[(٣)]، فهم الرجال حقا

---

(١) حديث مرفوع أخرجه كل من: الإمام عبد الرزاق في "مصنفه" كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد، ٢٥٩/٥، رقم ٩٥٤٢. والإمام أحمد في "مسنده" مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة ﷺ، ٣٧٨/١٢، رقم ٧٤١٦. والإمام ابن ماجة في "سننه" كتاب العتق، باب المكاتب، ٨٤١/٢، رقم ٢٥١٨. والإمام الترمذي في "سننه" أبواب فضائل الجهاد، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمُجَاهِدِ وَالنَّاكِحِ وَالْمُكَاتَبِ وَعَوْنِ اللهِ إِيَّاهُمْ، ١٨٤/٤، رقم ١٦٥٥. وقال عقبه: هذا حديث حسن. والإمام ابن أبي عاصم في "الجهاد" فَضْلُ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ، ٢٧٣/١، رقم ٨٣. والإمام النسائي في "السنن الكبرى" كتاب الجهاد، فَضْلُ رَوْحَةٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، ٢٧٨/٤، رقم ٤٣١٣. والإمام أبو يعلى الموصلي في "مسنده" ٤١٠/١١، رقم ٦٥٣٥. والإمام ابن حبان في "صحيحه" كتاب النكاح، ذِكْرُ مَعُونَةِ اللهِ جَلَّ وَعَلا الْقَاصِدَ فِي نِكَاحِهِ الْعَفَافَ، وَالنَّاوِيَ فِي كِتَابَتِهِ الأَدَاءَ، ٣٣٩/٩، رقم ٤٠٣٠. والإمام الحاكم في "المستدرك" كتاب النكاح، ١٧٤/٢، رقم ٢٦٧٨. وقال عقبه: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. ووافقه الإمام الذهبي. والإمام أبو نعيم الأصبهاني في "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" ٣٨٨/٨. والإمام البيهقي في "السنن الكبرى" كتاب النكاح، باب الرغبة في النكاح، ١٢٥/٧، رقم ١٣٤٥٦. قلت: حديث حسن، حَسَّنَ إسنادَه كلٌّ من: الإمام الترمذي، والشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لـ"صحيح ابن حبان" ٣٣٩/٩. والشيخ الألباني في "مشكاة المصابيح" ٩٢٩/٢، رقم ٣٠٨٩. والشيخ حسين سليم أسد في تحقيقه لـ"مسند أبي يعلى" ٤١٠/١١. ومتن الحديث خير شاهد مع الآية الكريمة بوعد الله عز وجل للناكح الذي يريد العفاف أن ييسر الله أمره ويوسع له في رزقه.

(٢) "التفسير الوسيط" لمحمد سيد طنطاوي، ١٢٢/١٠.

(٣) سورة النور: ٣٧.

الذين لا تشغلهم تجارة ولا بيع وهما مظنة الربح الوفير الناجز وزيادة الرزق عن عبادة الله ﷻ، والتقرب إليه بالطاعات، **قال الإمام ابن كثير**: لا تَشْغَلُهُمُ الدُّنْيَا وَزُخْرُفُهَا وَزِينَتُهَا ومَلاذ بَيعها وَرِيحُهَا، عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمُ الَّذِي هُوَ خَالِقُهُمْ وَرَازِقُهُمْ، وَالَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي عِنْدَهُ هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ وَأَنْفَعُ مِمَّا بِأَيْدِيهِمْ؛ لأنَّ مَا عِنْدَهُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ أَيْ: يُقَدِّمُونَ طَاعَتَهُ ومُرَاده وَمَحَبَّتَهُ عَلَى مُرَادِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ.(١)، ونهى الله المؤمنين عن الانشغال بما مَنَّ به عليهم من المال والأولاد تاركين إقامة الغاية التي من أجلها خلقوا، وجعل من يفعل ذلك من الخاسرين، قائلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾(٢)، **قال الإمام أبو السعود**: أي: لا يشغَلْكُم الاهتمامُ بتدبيرِ أمورِهَا والاعتناءُ بمصالحِهَا والتمتعُ بها عن الاشتغالِ بذكرِهِ ﷻ من الصلاة وسائر العبادات المذكورة للمعبودِ.(٣)

📖 ويبين لنا ربنا ﷻ خطورة المعاصي وأثرها السيئ على سعة أرزاق العباد برا وبحرا، قائلا: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(٤)، **قال الإمام ابن عاشور**: والْفَسادُ: سُوءُ الْحَالِ، وَهُوَ ضِدُّ الصَّلاحِ، وَدَلَّ قَوْلُهُ: ﴿فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ عَلَى أَنَّهُ سُوءُ الأَحْوَالِ فِي مَا يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ بَرِّهَا وَبَحْرِهَا، وَفَسَادُ الْبَرِّ يَكُونُ بِفِقْدَانِ مَنَافِعِهِ وَحُدُوثِ مَضَارِّهِ، مِثْلَ: حَبْسِ الأَقْوَاتِ مِنَ الزَّرْعِ وَالثِّمَارِ وَالْكَلأ، وَفِي مَوَتَانِ

---

(١) "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير، ٦٨/٦.

(٢) سورة المنافقون: ٩.

(٣) "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" لأبي السعود، ٢٥٤/٨.

(٤) سورة الروم: ٤١.

الْحَيَوَانِ الْمُنْتَفَعِ بِهِ، وَفِي انْتِقَالِ الْوُحُوشِ الَّتِي تُصَادُ مِنْ جَرَّاءَ قَحْطِ الأَرْضِ إِلَى أَرَضِينَ أُخْرَى، وَفِي حُدُوثِ الْجَوَائِحِ مِنْ جَرَادٍ وَحَشَرَاتٍ وَأَمْرَاضٍ، وَفَسَادُ الْبَحْرِ كَذَلِكَ يَظْهَرُ فِي تَعْطِيلِ مَنَافِعِهِ مِنْ قِلَّةِ الْحِيتَانِ، وَاللُّؤْلُؤِ وَالْمَرْجَانِ، فَقَدْ كَانَا مِنْ أَعْظَمِ مَوَارِدِ بِلادِ الْعَرَبِ، وَكَثْرَةِ الزَّوَابِعِ الْحَائِلَةِ عَنِ الأَسْفَارِ فِي الْبَحْرِ، وَنُضُوبِ مِيَاهِ الأَنْهَارِ وَانْحِبَاسِ فَيَضَانِهَا الَّذِي بِهِ يَسْتَقِي النَّاسَ.[1]، **وقال الإمام محمد سيد طنطاوي**: وقوله تعالى: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ بيان لسبب ظهور الفساد، أي: عم الفساد وطم في البر والبحر، بسبب اقتراف الناس للمعاصي، وانهماكهم في الشهوات، وتفلتهم من كل ما أمرهم الله تعالى به، أو نهاهم عنه، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[2]، فظهور الفساد وانتشاره، لا يتم عبثا أو اعتباطا، وإنما يتم بسبب إعراض الناس عن طاعة الله تعالى، وارتكابهم للمعاصي.[3]

📖 **قلت: من كل ما سبق تبين بوضوح -لا لبس فيه- أن تقوى الله ﷻ وطاعته سبب في رغد العيش وسعة الرزق، وأن ما ينزل بالمجتمع من أزمات اقتصادية طاحنة، وغلاء للأسعار، وضنك في المعيشة سببه هو الجرأة على الله تعالى بالمعاصي والمنكرات، والعلاج أن ترجع الأمة تائبة إلى ربها ﷻ مؤتمرة بأمره مجتنبة لنهيه، وصدق الله**: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ .

---

(١) ينظر: "التحرير والتنوير" لابن عاشور، ١١٠/٢١.

(٢) سورة الشورى: ٣٠.

(٣) "التفسير الوسيط" لمحمد سيد طنطاوي، ١٧٠/٩.

المبحث الثاني: الإنفاق في سبيل الله

📖 إذا قلت لإنسان يشتكي ضيق المعيشة وغلاء الأسعار أنفق في سبيل الله مما رزقك الله ستحصد البركة ورغد العيش وسعة الرزق قد يتعجب من نصحك أشد العجب، لاعتقاده أن المال الذي بيده ينقص بالإنفاق والتصدق منه، ويغفل عن قَسَمِ النبي ﷺ، قائلا: "ثَلاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ" قَالَ: "مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلِمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلا زَادَهُ اللهُ عِزًّا، وَلا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إلا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا"[(١)]، والنبي ﷺ يقسم وهو الصادق الذي لا يحتاج إلى قسم لأن الحقيقة التي سيذكرها قد تكون مستغربة عند الكثيرين، فهو ﷺ يقسم تأكيدا لها.

📖 ومن الوعود الربانية الكريمة: وعد الله ﷻ لمن ينفق من ماله في طاعته وابتغاء مرضاته أن يعوضه الله ويخلفه عن هذا المال الذي أنفقه في سبيله، عوضا خيرا منه في الدنيا وفي الآخرة، فلا يتوهم أحد أن الإنفاق ينقص الرزق، بل وعد الله المنفق بالخلف، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ

---

(١) حديث مرفوع أخرجه كل من: الإمام أحمد في "مسنده" مسند الشاميين، حَدِيثُ أَبِي كَبْشَةَ الأَنْمَارِيِّ ﷺ، ٥٦١/٢٩، ٥٦٢، رقم ١٨٠٣٠. والإمام الترمذي في "سننه" أبواب الزهد، بَابُ مَا جَاءَ مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ، ٥٦٢/٤، رقم ٢٣٢٥، وقال الإمام الترمذي عقبه: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. والإمام البزار في "مسنده" مسند عبد الرحمن بن عوف ﷺ، وَمِمَّا رَوَى أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، ٢٤٣/٣، رقم ١٠٣٢. والإمام الطبراني في "المعجم الكبير" مَنْ يُكَنَّى أَبَا كَبْشَةَ أَبُو كَبْشَةَ الأَنْمَارِيُّ ﷺ، ٣٤١/٢٢، رقم ٨٥٥. والإمام القضاعي في "مسنده" ٢٩/٢، رقم ٨١٨. والإمام البغوي في "شرح السنة" كتاب الرقاق، بَابُ اسْتِحْبَابِ طُولِ الْعُمُرِ لِلطَّاعَةِ وَتَمَنِّي الْمَالِ لِلْخَيْرِ، ٢٨٩/١٤، رقم ٤٠٩٧. قلت: حديث صحيح الإسناد، رجاله ثقات، وصحح إسناده الألباني في "مشكاة المصابيح" ١٤٥٣/٣، ١٤٥٤، رقم ٥٢٨٧.

ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[(١)]، **قال الإمام الزمخشري**: فَهُوَ يُخْلِفُهُ فهو يعوّضه لا معوّض سواه، إما عاجلا بالمال، أو بالقناعة التي هي كنز لا ينفد، وإما آجلا بالثواب الذي كل خلف دونه.[(٢)]، **وقال الإمام ابن عطية**: وعد بالخلف لمن ينفق بشرط الاقتصاد والنية في الطاعة ودفع المضرات، وعد منجز إما في الدنيا وإما في الآخرة، وروى أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: "قال الله لي: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عليك"[(٣)]، وفي البخاري: "أن ملكا ينادي كل يوم اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول ملك آخر: اللهم أعط ممسكا تلفا"[(٤)].[(٥)]، فأنفق في سبيل الله وتعرض لخير الله وعطاياه.

📖 ومن الوعود الربانية في سعة الرزق بالإنفاق: ما بَيَّنَه الله لنا في كتابه الكريم أن الشيطان يعد من ينفق ماله بالفقر وضياع المال، والله ﷻ يعد المنفق بزيادة المال والرزق الوفير والبركة والنماء، والله لا يخلف الميعاد، قال تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ

---

(١) سورة سبأ: ٣٩.

(٢) "الكشاف" للزمخشري، ٥٨٦/٣، ٥٨٧.

(٣) "**صحيح البخاري**" كتاب تفسير القرآن- بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ ، ٧٣/٦، رقم ٤٦٨٤. "**صحيح مسلم**" كتاب الزكاة- بَابُ الْحَثِّ عَلَى النَّفَقَةِ وَتَبْشِيرِ الْمُنْفِقِ بِالْخَلَفِ- ٦٩١/٢، رقم ٩٩٣.

(٤) "**صحيح البخاري**" كتاب الزكاة- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ "اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقَ مَالٍ خَلَفًا"، ١١٥/٢، رقم ١٤٤٢. "**صحيح مسلم**" كتاب الزكاة- بَابٌ فِي الْمُنْفِقِ وَالْمُمْسِكِ- ٧٠٠/٢، رقم ١٠١٠.

(٥) ينظر: "المحرر الوجيز" لابن عطية، ٤٢٣/٤.

يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيم﴾[١]، **قال الإمام الطبري**: ﴿وَفَضْلًا﴾ يعني: وَيَعِدُكُمْ أَنْ يُخْلِفَ عَلَيْكُمْ مِنْ صَدَقَتِكُمْ، فَيَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ عَطَايَاهُ وَيُسْبِغَ عَلَيْكُمْ فِي أَرْزَاقِكُمْ.[٢]، **وقال الإمام ابن عطية**: والفضل هو الرزق في الدنيا والتوسعة فيه، والتنعيم في الآخرة، وبكل قد وعد الله تعالى.[٣]، **وختام الآية الكريمة باسم الله الواسع** فيه دلالة بسعة الرزق لمن أنفق، **قال الإمام الطبري**: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ الْفَضْلِ الَّذِي يَعِدُكُمْ أَنْ يُعْطِيكُمُوهُ مِنْ فَضْلِهِ وَسَعَةِ خَزَائِنِهِ.[٤]، **وقال الإمام البيضاوي**: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ أي: واسع الفضل لمن أنفق.[٥]، **وقال الإمام أبو السعود**: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ قدرةً وفضلاً فيحقق ما وعدكم به من المغفرة وإخلافِ ما تنفقونه.[٦]، **وقال الشيخ أبو زهرة**: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيم﴾ ختم الله ﷻ هذه الآية بتلك الجملة السامية تأكيدًا لوعده الذي وعد به عباده المتقين المتصدقين، فإنه ﷻ قد وعدهم بأن يعطيهم من فضله، فبين ﷻ أنه واسع المغفرة، واسع الفضل،

---

(١) سورة البقرة: ٢٦٨.

(٢) "جامع البيان" للطبري، ٥/٥.

(٣) "المحرر الوجيز" لابن عطية، ٣٦٤/١. وبنحو هذا القول قال كل من: الإمام القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" ٣٢٩/٣. والإمام ابن جزي في "التسهيل لعلوم التنزيل" ١٣٥/١. والإمام الثعالبي في "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" ٥٢٥/١.

(٤) "جامع البيان" للطبري، ٨/٥.

(٥) "أنوار التنزيل" للبيضاوي، ١٦٠/١. وبنحو هذا القول قال الإمام أبو حيان في "البحر المحيط" ٦٨٣/٢، ط. دار الفكر.

(٦) "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" لأبي السعود، ٢٦٢/١. وبنحو هذا القول قال الشيخ أحمد المراغي في "تفسيره" ٤١/٣.

يعطي من يشاء، فإذا كان هو الذي أعطى الغني من فضله ابتداءً، فهو الذي يمده إن تصدق بفضله أيضًا.[١]

📖 ووعد ثالث ورابع من الله ﷻ بتوفية مَن ينفق مِن ماله شيئا في سبيل الله أجر إنفاقه في الدنيا -بالبركة والنماء وسعة الرزق- قبل الآخرة، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[٣]، **قال الإمام الطبري**: وَمَا أَنْفَقْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ نَفَقَةٍ فِي شِرَاءِ آلَةِ حَرْبٍ مِنْ سِلاحٍ أَوْ حِرَابٍ أَوْ كُرَاعٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ النَّفَقَاتِ فِي جِهَادِ أَعْدَاءِ اللهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، يَخْلُفُهُ اللهُ عَلَيْكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَيَدَّخِرُ لَكُمْ أُجُورَكُمْ عَلَى ذَلِكَ عِنْدَهُ، حَتَّى يُوَفِّيكُمُوهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.[٤]، **وقال الإمام ابن عاشور**: وَإِذْ قَدْ كَانَ إِعْدَادُ الْقُوَّةِ يَسْتَدْعِي إِنْفَاقًا، وَكَانَتِ النُّفُوسُ شَحِيحَةً بِالْمَالِ، تَكَفَّلَ اللهُ لِلْمُنْفِقِينَ فِي سَبِيلِهِ بِإِخْلافِ مَا أَنْفَقُوهُ وَالإِثَابَةِ عَلَيْهِ، وَتَدُلُّ التَّوْفِيَةُ عَلَى أَنَّهُ يَشْمَلُ الأَجْرَ فِي الدُّنْيَا مَعَ أَجْرِ الآخِرَةِ.[٥]، **وقال الشيخ أبو زهرة**: ﴿يُوَفَّ

---

(١) "زهرة التفاسير" لمحمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة، ت: ١٣٩٤هـ، ١٠٠٨/٢، ط. دار الفكر العربي.

(٢) سورة البقرة: ٢٧٢.

(٣) سورة الأنفال: ٦٠.

(٤) "جامع البيان" للطبري، ٢٥٠/١١.

(٥) ينظر: "التحرير والتنوير" لابن عاشور، ٥٧/١٠، ٥٨.

﴿إِلَيْكُم﴾ أي: بالبركة في رزقكم، وبتيسير الرزق لكم، وتسهيل سبل الحياة، والنماء في أموالكم، وبعد ذلك الجزاء في الآخرة، وهي خير وأبقى.(١)

📖 ومع وعود الله السابقة يقص لنا ربنا قصة أصحاب الجنة في سورة القلم لنتأمل ونتعظ بما حل بجنتهم اليانعة الثمار لما عزموا على منع الفقراء والمساكين جزءا من ثمارها صدقة في سبيل الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾(٢)، فسبحان الرزاق! أرادوا الاستئثار بثمار جنتهم وحرمان المساكين ظنا منهم أن يربوا مالهم، فآل أمرهم أن حرموا جميع ثمار جنتهم، فهلا اتعظ من يبخلون على الفقراء والمساكين، وهلا ازداد المنفقون في سبيل الله يقينا أن نماء المال وبركته سببه الإنفاق منه، **قال الإمام محمد سيد طنطاوي**: أقسم هؤلاء الجاحدون على أن لا يعطوا شيئا من جنتهم للمحتاجين، فكانت نتيجة نيتهم السيئة، وعزمهم على الشر أن نزل بهذه الحديقة بلاء أحاط بها فأهلكها، فصارت كالشيء المحترق الذي قطعت ثماره، ولم يبق منه شيء ينفع، ولم يعين سبحانه نوع هذا الطائف، أو كيفية نزوله، لأنه لا يتعلق بذكره غرض، وإنما المقصود ما ترتب عليه من آثار توجب الاعتبار.(٣)

📖 هذا ومن ألوان إنفاق المال في سبيل الله ما سماه الله ﷻ القرض الحسن، كما في قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ

---

(١) "زهرة التفاسير" لأبي زهرة، ٣١٧٦/٦.

(٢) سورة القلم: ١٧: ٢٠.

(٣) "التفسير الوسيط" لمحمد سيد طنطاوي، ٤٨/١٥.

وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[١]، **قال الإمام ابن عاشور**: الإقْرَاضُ: فِعْلُ الْقَرْضِ، وَالْقَرْضُ: السَّلَفُ، وَهُوَ بَذْلُ شَيْءٍ لِيُرَدَّ مِثْلُهُ أَوْ مُسَاوِيهُ، وَاسْتُعْمِلَ هُنَا مَجَازًا فِي الْبَذْلِ الَّذِي يُرْجَى الْجَزَاءُ عَلَيْهِ تَأْكِيدًا فِي تَحْقِيقِ حُصُولِ التَّعْوِيضِ وَالْجَزَاءِ، وَوَصْفُ الْقَرْضِ بِالْحَسَنِ لأَنَّهُ لا يَرْضَى اللهُ بِهِ إلا إِذَا كَانَ مُبَرَّأً عَنْ شَوَائِبِ الرِّيَاءِ وَالأَذَى، وقيل: الْقَرْضُ هُنَا عَلَى حَقِيقَتِهِ وَهُوَ السَّلَفُ، وَلَعَلَّهُ عُلِّقَ بِاسْمِ الْجَلالَةِ لأَنَّ الَّذِي يُقْرِضُ النَّاسَ طَمَعًا فِي الثَّوَابِ كَأَنَّهُ أَقْرَضَ اللهَ تَعَالَى، لأَنَّ الْقَرْضَ مِنَ الإِحْسَانِ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَفِي مَعْنَى هَذَا مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: "إِنَّ اللهَ ﷻ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فلانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ "[٢]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ فِيهِ تَعْرِيضٌ بِالْوَعْدِ بِالتَّوْسِعَةِ عَلَى الْمُنْفِقِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالتَّقْتِيرِ عَلَى الْبَخِيلِ.[٣]

📖 ونظير آية سورة البقرة السابقة قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٌ كَرِيمٌ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٌ كَرِيمٌ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾[٦]، ويسأل الشيخ أبو زهرة عن هذه الأضعاف التي وعد الله بها المنفقين أموالهم في سبيله، المقرضين ربهم قرضا حسنا، أهذه الأضعاف في الدنيا أم في

---

(١) سورة البقرة: ٢٤٥.

(٢) "**صحيح مسلم**" كتاب البر والصلة والآداب- بَابُ فَضْلِ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ- ١٩٩٠/٤، رقم ٢٥٦٩.

(٣) ينظر: "التحرير والتنوير" لابن عاشور، ٤٨٢/٢، ٤٨٣.

(٤) سورة الحديد: ١١.

(٥) سورة الحديد: ١٨.

(٦) سورة التغابن: ١٧.

الآخرة، قائلا: وما هذا الجزاء؛ أهو في الدنيا أم في الآخرة؛ لا شك أن ثمة جزاء في الآخرة وأن جزاءها هو الجزاء الأوفى، والغاية القصوى، والأمل المرجى لكل مؤمن؛ وإن فيها للذين أحسنوا الحسنى وزيادة، وإنه مع ذلك الجزاء الأوفى يوجد جزاء دنيوي، ومضاعفة لفعل الخير في هذه الحياة تبدو لكل من يفهم معاني الحياة، وإن هذا الجزاء الدنيوي هو العيش العزيز، والحياة الكريمة له ولقومه، ودفع الهلاك عن أمته؛ فإن بذل المال دفاعًا عن الحوزة هو الحياة، وهو أقصى غاية الوجود بعد بذل النفس؛ ولذا اعتبر من لم ينفق قد ألقى بنفسه في التهلكة، كما قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[(١)]، وإن الله يبارك في رزق الذين ينفقون، فوق غنى النفس الذي تمتلئ به النفس؛ وقد قال ﷺ: "ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس"[(٢)]، فالبذل والعطاء في سبيل الخير يدفع ضرًا، ويقي من شر، ويحمي الجماعة من الآفات، ويسعد النفس، ويبارك في رزق المعطي، ويكثر قوى الإنتاج في الأمة، فتقوى الأيدي كلها على العمل فيعم الخير، وتكثر الثمرة، ويكون الإنتاج الطيب الذي يعم ولا يخص، فمن أعطى قليلا يأخذ كثيرًا في نفسه وقومه وأهله وعشيرته.[(٣)]

📖 **قلت**: مما سبق يتبين بجلاء أن من أسباب سعة الرزق ورغد العيش والحياة الطيبة أن ينفق الإنسان من ماله في أبواب الخير مبتغيا وجه الله ﷻ، موقنا بقول النبي ﷺ: "ما نقص مال من صدقة"، وكيف لا أوقن وقد ضرب لنا ربنا ﷻ مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله مصدقين بوعده سبحانه، ببستان في مكان مرتفع يستقبل أشعة الشمس صافية يصيبه ماء نقي غزير

---

(١) سورة البقرة: جزء من الآية ١٩٥.

(٢) "**صحيح البخاري**" كتاب الرقاق- بَابُ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ، ٩٥/٨، رقم ٦٤٤٦. "**صحيح مسلم**" كتاب الزكاة- بَابُ لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ- ٧٢٦/٢، رقم ١٠٥١.

(٣) ينظر: "زهرة التفاسير" لأبي زهرة، ٨٧٣/٢، ٨٧٤.

فيثمر بفضل الله ﷻ ضعفي ثمره، قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1]، قال الإمام السمعاني: وَمعنى هَذَا الْمثل: أَن الَّذِي ينْفق خَالِصا لوجه الله تَعَالَى لا تخلف نَفَقَته، بل تنمو وتزكو بِكُل حَال، كَمَا أَن الْجنَّة الَّتِي على الربوة لا تخلف، بل تنمو وتزكوا بِكُل حَال سَوَاء أَصَابَهَا الوابل، أَو أَصَابَهَا الطل.[2] أسأل الله أن يجعلنا منهم.

---

(١) سورة البقرة: ٢٦٥.

(٢) "تفسير القرآن" لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني، ت: ٤٨٩هـ، ٢٧٠/١، ط. دار الوطن، تحقيق: ياسر إبراهيم.

المبحث الثالث: الانتشار في الأرض سعيا على الرزق

حث الإسلام على العمل والسعي في الأرض طلبا للرزق، فالله ﷻ بسط الأرض وذللها للسير فيها والقرار عليها، ليأكل الإنسان ويتمتع بنعم الله ﷻ، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[1]، **قال عبد الكريم الخطيب**: هو خطاب للناس جميعا، وإلفات لهم إلى فضل الله عليهم، وإحسانه إليهم، إذ خلقهم، وأقامهم على خلافة الأرض، وجعل الحياة فيها ذلولا لهم، أي: مذللة، ميسرة لهم، بما أوجد فيها من أسباب الحياة، وقوله تعالى: ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ﴾ هو دعوة إلى العمل في هذه الحياة، وإلى السعي في الأرض، والضرب في وجوهها المختلفة، فالله سبحانه قد وضع بين أيدي الناس خيرات كثيرة ممدودة على بساط هذه الأرض، وعليهم هم أن يتحركوا في كل وجه على هذا البساط، وأن يمدّوا أيديهم إلى كل شيء يقدرون عليه من هذا الخير، فإن هم لم يفعلوا، فقد بخسوا أنفسهم حقها من الحياة الكريمة على هذه الأرض.[2]

وعطف الأكل من رزق الله على المشي في نواحي الأرض وجوانبها، فيه إشارة -ولفت أنظار الناس- إلى أن السعي في الأرض سبب من أسباب الرزق ينبغي على الإنسان أن يأخذ به، فيطلب رزق الله في أرض الله، **قال الأستاذ أحمد بن مصطفى المراغي**: إن ربكم هو الذي سخر لكم الأرض وذللها لكم، فجعلها قارّة ساكنة، لا تميد ولا تضطرب، فسافروا حيث شئتم من أقطارها، وترددوا في أرجائها، لأنواع المكاسب والتجارات، وكلوا مما أوجده لكم فيها بفضله من واسع الأرزاق.[3]، **وقال الإمام ابن عاشور**: وَمُنَاسَبَةُ ﴿وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ﴾ أَنَّ الرِّزْقَ مِنَ الأَرْضِ، وَالأَمْرُ

---

(١) سورة الملك: ١٥.

(٢) ينظر: "التفسير القرآني للقرآن" لعبد الكريم الخطيب، ١٠٦٠/١٥.

(٣) ينظر: "تفسير المراغي" لأحمد بن مصطفى المراغي، ت: ١٣٧١هـ، ١٥/٢٩، ط. مكتبة مصطفى البابي الحلبي.

مُسْتَعْمَلٌ فِي الإِدَامَةِ أَيْضًا للامْتِنَانِ، وفَائِدَةَ تَذْلِيلِ الذَّلُولِ رُكُوبُهَا وَالأَكْلُ مِنْهَا، فَالْمَشْيُ عَلَى الأَرْضِ شَبِيهٌ بِرُكُوبِ الذَّلُولِ، وَالأَكْلُ مِمَّا تُنْبِتُهُ الأَرْضُ شَبِيهٌ بِأَكْلِ الأَلْبَانِ وَالسَّمْنِ وَأَكْلِ الْعُجُولِ وَالْخِرْفَانِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.(١)

📖 وسوى الإسلام بين السعي في الأرض لابتغاء الرزق وبين المقاتل في سبيل الله، فكأن السعي في الأرض لابتغاء الرزق لون من الجهاد، قال تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾(٢)، **قال الإمام الطبري**: يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: عَلِمَ رَبُّكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ أَهْلُ مَرَضٍ قَدْ أَضْعَفَهُ الْمَرَضُ عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ، ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فِي سَفَرٍ، ﴿يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ فِي تِجَارَةٍ قَدْ سَافَرُوا لِطَلَبِ الْمَعَاشِ فَأَعْجَزَهُمْ، فَأَضْعَفَهُمْ أَيْضًا عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ، ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يَقُولُ: وَآخَرُونَ أَيْضًا مِنْكُمْ يُجَاهِدُونَ الْعَدُوَّ فَيُقَاتِلُونَهُمْ فِي نُصْرَةِ دِينِ اللهِ، فَرَحِمَكُمُ اللهُ فَخَفَّفَ عَنْكُمْ، وَوَضَعَ عَنْكُمْ فَرْضَ قِيَامِ اللَّيْلِ.(٣)، **وقال الإمام القرطبي**: سَوَّى اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الآيَةِ بَيْنَ دَرَجَةِ الْمُجَاهِدِينَ وَالْمُكْتَسِبِينَ الْمَالَ الْحَلالَ لِلنَّفَقَةِ عَلَى نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ، وَالإِحْسَانِ وَالإِفْضَالِ، فَكَانَ هَذَا دَلِيلا عَلَى أَنَّ كَسْبَ الْمَالِ بِمَنْزِلَةِ الْجِهَادِ، لأَنَّهُ جَمَعَهُ مَعَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ.(٤)

📖 ويستنبط من الآية الكريمة – مع المنزلة السامقة للساعين في الأرض يبتغون رزق الله– أن السعي في الأرض والسفر والترحال سبب من أسباب سعة الرزق ورغد العيش، فهم يسافرون في

---

(١) ينظر: "التحرير والتنوير" لابن عاشور، ٣٢/٢٩.

(٢) سورة المزمل: جزء من الآية ٢٠.

(٣) "جامع البيان" للطبري، ٣٩٦/٢٣، ٣٩٧.

(٤) "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي، ٥٥/١٩.

الأرض لطلب رزق الله ﷻ، والله ذو الفضل العظيم، وهو الواسع العليم سبحانه، **قال الإمام البيضاوي**: والضرب في الأرض ابتغاء للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم.(١)، **وقال الإمام الطيبي**: وكأن أصل الكلام: عَلِمَ أن سيكون منكم مرضى ومسافرون، فقسمهم قسمين: المُبتغين من فضل الله، والمجاهدين، ولم يكتف بذلك، بل قدَّم المسافرين على المجاهدين.(٢)

📖 وفي سورة الجمعة أمر الله ﷻ المؤمنين بالسعي إلى ذكر الله عند النداء للصلاة من يوم الجمعة، وترك أعمالهم الدنيوية، ثم أمرهم بعد الانتهاء من الصلاة بالانتشار في الأرض والمشي في مناكبها طلبا للرزق، وفي هذا دليل أن من أسباب اكتساب المال والربح وسعة الرزق الانتشار في الأرض للتجارة والكسب، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٣)، **قال الإمام السمرقندي**: ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ يعني: اطلبوا الرزق من الله تعالى بالتجارة والكسب.(٤)، **وقال الإمام محمد سيد طنطاوي**: فإذا فرغتم من أداء الصلاة وأقمتموها على أكمل وجه، فانتشروا في الأرض، وامشوا في مناكبها، لأداء أعمالكم التي كنتم قد تركتموها عند النداء للصلاة، واطلبوا الربح واكتساب المال والرزق، من فضل الله تعالى ومن فيض إنعامه.(٥)

---

(١) "أنوار التنزيل" للبيضاوي، ٢٥٨/٥.

(٢) "فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب" حاشية الطيبي على "الكشاف"، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، ت: ٧٤٣هـ، ١٠٦/١٦، ط. جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.

(٣) سورة الجمعة: ١٠.

(٤) "بحر العلوم" لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي، ت: ٣٧٣هـ، ٤٤٨/٣.

(٥) "التفسير الوسيط" لمحمد سيد طنطاوي، ٣٨٩/١٤.

وامتن الله على عباده -في أكثر من موضع- أنه جعل النهار معاشا، ليسعى الناس فيه وينتشرون في الأرض مبتغين من فضل الله ﷻ، فيحصلوا من المنافع والأرزاق ما يقيمون به دنياهم، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾[٣]، **قال الإمامان البيضاوي وأبو السعود:** ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ في النهار بأنواع المكاسب.[٤]، **وقال الشيخ السعدي:** هذا امتنان من الله على عباده، يدعوهم به إلى شكره، والقيام بعبوديته وحقه، أنه جعل لهم من رحمته النهار ليبتغوا من فضل الله، وينتشروا لطلب أرزاقهم ومعايشهم في ضيائه.[٥]، **وقال الإمام ابن عاشور:** وَالابْتِغَاءُ مِنْ فَضْلِ اللهِ: كِنَايَةٌ عَنِ الْعَمَلِ وَالطَّلَبِ لِتَحْصِيلِ الرِّزْقِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠]، وَالرِّزْقُ: فَضْلٌ مِنَ اللهِ.[٦]

---

(١) سورة الإسراء: ١٢.

(٢) سورة القصص: ٧٣.

(٣) سورة الروم: ٢٣.

(٤) "أنوار التنزيل" للبيضاوي، ١٨٤/٤. "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" لأبي السعود، ٢٤/٧. وبنحو عبارتهما قال الإمام الشوكاني في "فتح القدير" ٢١٣/٤، وعبارته: فِي النَّهَارِ، بِالسَّعْيِ فِي الْمَكَاسِبِ.

(٥) "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" للسعدي، ص ٦٢٣.

(٦) "التحرير والتنوير" لابن عاشور، ١٧١/٢٠.

ومع الآيات السابقة يعد الله عباده المؤمنين وعدا صريحا بأن من يهاجر في سبيل الله ويترك دار إقامته من أجل إعلاء كلمة الله وإعزاز الدين يجد في الأرض خيرا كثيرا وسعة في الرزق، فمن يهاجر في سبيل الله إلى بلد آخر لا يخف من المشقة والعنت، بل يجب أن يكون على يقين في وعد الله له، أنه سيجد سعة في العيش، وبسطا في الرزق، قال تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾[١]، **قال الإمام الرازي**: وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ الله إِلَى بَلَدٍ آخَرَ يَجِدْ فِي أَرْضِ ذَلِكَ الْبَلَدِ مِنَ الْخَيْرِ وَالنِّعْمَةِ مَا يَكُونُ سَبَبًا لِرَغْمِ أَنْفِ أَعْدَائِهِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ فِي بَلْدَتِهِ الأَصْلِيَّةِ، وَالْحَاصِلُ كَأَنَّهُ قِيلَ: يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كُنْتَ إِنَّمَا تَكْرَهُ الْهِجْرَةَ عَنْ وَطَنِكَ خَوْفًا مِنْ أَنْ تَقَعَ فِي الْمَشَقَّةِ وَالْمِحْنَةِ فِي السَّفَرِ، فَلا تَخَفْ فَإِنَّ الله تَعَالَى يُعْطِيكَ مِنَ النِّعَمِ الْجَلِيلَةِ وَالْمَرَاتِبِ الْعَظِيمَةِ فِي مُهَاجَرَتِكَ مَا يَصِيرُ سَبَبًا لِرَغْمِ أُنُوفِ أَعْدَائِكَ، وَيَكُونُ سَبَبًا لِسَعَةِ عَيْشِكَ.[٢]، **وقال الشيخ السعدي:** هذا في بيان الحث على الهجرة، وبيان ما فيها من المصالح، فوعد الصادق في وعده أن من هاجر في سبيله ابتغاء مرضاته، أنه يجد مراغما في الأرض وسعة، وذلك أن كثيرًا من الناس يتوهم أن في الهجرة شتاتًا بعد الألفة، وفقرًا بعد الغنى، وذلا بعد العز، وشدة بعد الرخاء، والأمر ليس كذلك، فإن المؤمن إذا هاجر في سبيل الله تمكن من إقامة دين الله وجهاد أعداء الله ومراغمتهم، فإن المراغمة اسم جامع لكل ما يحصل به إغاظة لأعداء الله من قول وفعل، وكذلك ما يحصل له سعة في رزقه.[٣]، **وقال الشيخ أبو زهرة**: والآية تحث على الهجرة إذا توافرت أسبابها،

---

(١) سورة النساء: جزء من الآية ١٠٠.

(٢) ينظر: "مفاتيح الغيب" للرازي، ١٩٨/١١.

(٣) ينظر: "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" للسعدي، ص ١٩٦.

وتشير إلى أن المهاجر، إن ترك محل العيش الرتيب، فإنه سيجد في النهاية مذاهب مختلفة للرزق، وسعة في الحياة، وعدم ضيق، فهو معوض بلا ريب.(١)

📖 وقسم الإمام ابن العربي المالكي -وتبعه الإمام القرطبي- السفر في الأرض من جهة المقصود به إلى قسمين هرب وطلب، ثم قسم سفر الطلب إلى قسمين: دين ودنيا، ثم ذكر من أنواع سفر طلب الدين: سفر المعاش، وسفر التجارة، قائلا: الرَّابِعُ: سَفَرُ الْمَعَاشِ؛ فَقَدْ يَتَعَذَّرُ عَلَى الرَّجُلِ مَعَاشُهُ مَعَ الإِقَامَةِ، فَيَخْرُجُ فِي طَلَبِهِ لا يَزِيدُ عَلَيْهِ وَلا يَنْقُصُ مِنْ صَيْدٍ أَوْ احْتِطَابٍ أَوْ احْتِشَاشٍ أَوْ اسْتِئْجَارٍ، وَهُوَ فَرْضٌ عَلَيْهِ، الْخَامِسُ: سَفَرُ التِّجَارَةِ وَالْكَسْبِ الْكَثِيرِ الزَّائِدِ عَلَى الْقُوتِ؛ وَذَلِكَ جَائِزٌ بِفَضْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨] يَعْنِي: التِّجَارَةَ، وَهَذِهِ نِعْمَةٌ مَنَّ بِهَا فِي سَفَرِ الْحَجِّ، فَكَيْفَ إِذَا انْفَرَدَتْ.(٢)

📖 ووعد آخر صريح من الله ﷻ لعباده الذين تركوا أوطانهم وهاجروا ابتغاء مرضات ربهم من بعد ما تعرضوا للظلم من قومهم، وعدهم الله بسعة الرزق والعيش الهنيء في الدنيا، مع أجرهم الكبير في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾(٣)، **قال الشيخ السعدي**: يخبر تعالى بفضل المؤمنين الممتحنين ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ﴾ أي: في سبيله وابتغاء مرضاته، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ بالأذية والمحنة من قومهم، الذين يفتنونهم ليردوهم إلى الكفر والشرك، فتركوا الأوطان والخلان، وانتقلوا عنها لأجل طاعة الرحمن، فذكر لهم ثوابين: ثوابا عاجلا في الدنيا من الرزق الواسع والعيش

---

(١) "زهرة التفاسير" لأبي زهرة، ١٨٢٢/٤.

(٢) "أحكام القرآن" للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر العربي المالكي، ت: ٥٤٣هـ، ٦١٣/١، ط. دار الكتب العلمية. وينظر: "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي، ٣٥١/٥.

(٣) سورة النحل: ٤١.

الهنيء، الذي رأوه عيانا بعد ما هاجروا، وانتصروا على أعدائهم، وافتتحوا البلدان وغنموا منها الغنائم العظيمة.(١)، **وقال الإمام ابن عاشور**: وَهَذَا الْجَزَاءُ يَجْبُرُ كُلَّ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الْمُهَاجَرَةُ مِنَ الأَضْرَارِ الَّتِي لَقِيَهَا الْمُهَاجِرُونَ مِنْ مُفَارقَة دِيَارهمْ وأهليهم وَأَمْوَالِهِمْ، وَمَا لاقَوْهُ مِنَ الأذَى الَّذِي أَلْجَأَهُمْ إِلَى الْمُهَاجَرَةِ مِنْ تَعْذِيبٍ وَاسْتِهْزَاءٍ وَمَذَلَّةٍ وَفِتْنَةٍ، فَالْحَسَنَةُ تَشْتَمِلُ عَلَى تَعْوِيضِهِمْ دِيَارًا خَيْرًا مِنْ دِيَارِهِمْ، وَوَطَنًا خَيْرًا مِنْ وَطَنِهِمْ، وَهُوَ الْمَدِينَةُ، وَأَمْوَالا خَيْرًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَهِيَ مَا نَالُوهُ مِنَ الْمَغَانِمِ وَمِنَ الْخَرَاجِ.(٢)

📖 **مما سبق يتبين أن السفر والسعي في الأرض سبب لسعة الرزق، وهذا وعد الرزاق الذي لا يخلف وعده، وصدق رسول الله ﷺ حين قال: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلا، فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ"(٣)، فالساعي في الأرض ولو بحمل حطب على ظهره يبيعه، يفتح الله له من خزائن رزقه وفضله ما يكون خيرا له من سؤال الناس أعطوه أو منعوه.**

---

(١) "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" للسعدي، ص ٤٤٠.

(٢) "التحرير والتنوير" لابن عاشور، ١٥٨/١٤.

(٣) "**صحيح البخاري**" كتاب الزكاة- بَابُ الاسْتِعْفَافِ عَنِ المَسْأَلَةِ، ١٢٣/٢، رقم ١٤٧٠. "**صحيح مسلم**" كتاب الزكاة- بَابُ كَرَاهَةِ الْمَسْأَلَةِ لِلنَّاسِ- ٧٢١/٢، رقم ١٠٤٢.

المبحث الرابع: الاستغفار

لا شك أن الاستغفار سبب عظيم في سعة الرزق ورغد العيش، فالله ﷻ وعد عباده المستغفرين بخيري الدنيا والآخرة، قائلا: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَرًا﴾[(١)]، قال الإمام ابن عاشور: وَأَفَادَ كَمَالَ غُفْرَانِهِ بِصِيغَةِ الْمُبَالَغَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿غَفَّارًا﴾، وَهَذَا وَعْدٌ بِخَيْرِ الآخِرَةِ، ورتب عَلَيْهِ وَعدا بِخَيْرِ الدُّنْيَا بِطَرِيقِ جَوَابِ الأمْرِ، وَهُوَ ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم﴾ الآيَةَ.[(٢)]، والآية عامة في كل قوم، وليس فيها ما يدل على خصوصيتها لقوم نوح عليه السلام، قال الإمام الماتريدي: وقوله ﷻ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ فالاستغفار طلب المغفرة بما ذكر من قوله ﷻ: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ (نوح: ٣)، فيكون هذا منه أمرا لهم بإتيان الإيمان الذي هو سبب المغفرة، لا أمرًا بسؤال المغفرة نفسه من الله تعالى؛ إذ استغفار كل قوم يرجع إلى أحوالهم، فإذا كانوا كفرة، فهو إيمان بالله تعالى، وإن كانوا أصحاب ذنوب، فالتوبة إلى الله تعالى، وإن كانوا مخلصين فمما سلف من ذنوبهم مما يعلمونها، ونحو ذلك.[(٣)]، وقال الإمام ابن عطية: وقوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾ يقتضي أن الاستغفار سبب لنزول المطر في كل أمة.[(٤)]

والمتأمل في الآية الكريمة يجد أنها جمعت للمستغفرين أبلغ ما يكون من متع الحياة الدنيا ومطالبها، مما تشتهيه الأنفس وتلذ به الأعين، فإرسال السماء بالمطر يتبع بعضه بعضا فيه

---

(١) سورة نوح: ١٠: ١٢.

(٢) "التحرير والتنوير" لابن عاشور، ١٩٧/٢٩، ١٩٨.

(٣) "تأويلات أهل السنة" لأبي منصور الماتريدي، ت: ٣٣٣هـ، ٢٢٥/١٠، ط. دار الكتب العلمية.

(٤) "المحرر الوجيز" لابن عطية، ٣٧٣/٥.

حياة للبلاد والعباد، ونماء للزروع والثمار، وكثرة للحبوب والغلات، وغير ذلك مما هو سبب السعادة ورغد العيش، وكذلك كثرة الأموال والأولاد، ووجود البساتين والأنهار، كل ذلك سبيل للحياة الطيبة الآمنة المطمئنة، **قال الإمام القرطبي**: فِي هَذِهِ الآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الاسْتِغْفَارَ يُسْتَنْزَلُ بِهِ الرِّزْقُ وَالأمْطَارُ.(١)، **وقال الإمام أبو حيان**: أَخْبَرَ أَنَّهُ أَمَرَهُمْ بِالاسْتِغْفَارِ، وَأَنَّهُمْ إِذَا اسْتَغْفَرُوا دُرَّ لَهُمُ الرِّزْقُ فِي الدُّنْيَا، فَقَدَّمَ مَا يَسُرُّهُمْ وَمَا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ، إِذِ النَّفْسُ مُتَشَوِّفَةٌ إِلَى الْحُصُولِ عَلَى الْعَاجِلِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ﴾.(٢)، **وقال الإمام ابن كثير**: وَقَوْلُهُ: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا﴾ أَيْ: إِذَا تُبْتُمْ إِلَى اللهِ وَاسْتَغْفَرْتُمُوهُ وَأَطَعْتُمُوهُ، كَثُرَ الرِّزْقُ عَلَيْكُمْ، وَأَسْقَاكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ، وَأَنْبَتَ لَكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الأَرْضِ، وَأَنْبَتَ لَكُمُ الزَّرْعَ، وَأَدَرَّ لَكُمُ الضَّرْعَ، وَأَمَدَّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ، أَيْ: أَعْطَاكُمُ الأَمْوَالَ وَالأَوْلادَ، وَجَعَلَ لَكُمْ جَنَّاتٍ فِيهَا أَنْوَاعَ الثِّمَارِ، وَخَلَّلَهَا بِالأَنْهَارِ الْجَارِيَةِ بَيْنَهَا.(٣)، **وقال الإمام الشوكاني**: وَفِي هَذِهِ الآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الاسْتِغْفَارَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْمَطَرِ، وَحُصُولِ أَنْوَاعِ الأَرْزَاقِ.(٤)، **وقال الأستاذ أحمد بن مصطفى المراغي**: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ أي: يرسل المطر عليكم متتابعا، فتزرعون ما تحبون، ويكثر الخصب والغلات النافعة لكم فى معاشكم، من حبوب وثمار، وتحدث لكم طمأنينة وأمن وراحة لتوافر ما تشتهون، مما هو سبب السعادة

---

(١) ينظر: "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي، ٣٠٢/١٨.

(٢) "البحر المحيط" لأبي حيان، ٢٨٢/١٠.

(٣) "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير، ٢٣٣/٨.

(٤) "فتح القدير" لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، ت: ١٢٥٠هـ، ٣٥٧/٥، ط. دار ابن كثير.

والهدى، ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ﴾ أي: ويكثر لكم الأموال والخيرات على سائر ضروبها واختلاف ألوانها.(١)

📖 ونظير هذا الوعد السابق قوله تعالى على لسان نبي الله هود عليه السلام لقومه: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾(٢)، **قال الإمام ابن جزي**: وفي الآية دليل على أن الاستغفار والتوبة سبب لنزول الأمطار.(٣)، **وقال الإمام ابن عاشور**: جَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَى الاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ إِمْدَادَهُمْ بِالْمَطَرِ لأَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا، إِذْ كَانَتْ عَادٌ أَهْلَ زَرْعٍ وَكُرُومٍ فَكَانُوا بِحَاجَةٍ إِلَى الْمَاءِ، وَكَانُوا يَجْعَلُونَ السِّدَادَ لِخَزْنِ الْمَاءِ.(٤)، **وقال الإمام محمد سيد طنطاوي**: المعنى: أن هودا عليه السلام قال لقومه يا قوم اعبدوا الله واستغفروه وتوبوا إليه فإنكم إن فعلتم ذلك أرسل الله تعالى عليكم المطر غزيرا متتابعا في أوقات حاجتكم إليه لتشربوا منه وتسقوا به دوابكم وزروعكم، وجملة: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ معطوفة على ما قبلها، أي: وأيضا إن فعلتم ذلك زادكم الله تعالى عزا إلى عزكم، وشدة إلى شدتكم التي عرفتم بها، ووهبكم الأموال الطائلة، والذرية الكثيرة.(٥)

📖 ووعد ثالث وعد الله به عباده المستغفرين التائبين أن يمتعهم في الدنيا بسعة الرزق ورغد العيش إلى انقضاء أجلهم، متاعا خالصا من المكدرات والمنغصات، قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟

---

(١) "تفسير المراغي" للمراغي، ٨٣/٢٩.

(٢) سورة هود: ٥٢.

(٣) "التسهيل لعلوم التنزيل" لابن جزي الكلبي، ٣٧٢/١.

(٤) "التحرير والتنوير" لابن عاشور، ٩٦/١٢.

(٥) "التفسير الوسيط" لمحمد سيد طنطاوي، ٢٢٣/٧.

فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٖ﴾[١]، **قال الإمام الزمخشري**: ﴿يُمَتِّعۡكُم﴾ يطوّل نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية، من عيشة واسعة، ونعمة متتابعة ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ إلى أن يتوفاكم، كقوله: ﴿فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ﴾ .[٢]، **وقال الإمام القرطبي**: ﴿يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ هَذِهِ ثَمَرَةُ الاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ، أَيْ: يُمَتِّعُكُمْ بِالْمَنَافِعِ من سَعَةِ الرِّزْقِ وَرَغَدِ الْعَيْشِ، وَلا يَسْتَأْصِلُكُمْ بِالْعَذَابِ كَمَا فَعَلَ بِمَنْ أَهْلَكَ قَبْلَكُمْ.[٣]، **وقال الإمام أبو السعود**: ﴿يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ أي: تمتيعًا، وهو اسمٌ لما يُتمتّع به من منافع الدنيا من الأموال والبنينَ وغيرِ ذلك، والمعنى: يعشكم عَيشًا مرضيًا لا يفوتكم فيه شيءٌ مما تشتهون ولا ينغصُه شيءٌ من المكدرات.[٤]، **وقال الإمام محمد سيد طنطاوي**: ووصف المتاع بالحسن، ليدل على أنه عطاء ليس مشوبا بالمكدرات والمنغصات التي تقلق الإنسان في دنياه، وإنما هو عطاء يجعل المؤمن يتمتع بنعم الله التي أسبغها عليه، مع المداومة على شكره سبحانه على هذه النعم.[٥]

📖 ويستنبط من دعوة نبي الله سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾[٦]، أن الاستغفار سبب لانفتاح أبواب الخير والرزق من

---

(١) سورة هود: ٣.

(٢) "الكشاف" للزمخشري، ٣٧٨/٢. وذكر هذا المعنى أيضا كل من: الإمام النسفي في "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" ٤٦/٢. والإمام القاسمي في "محاسن التأويل" ٧٣/٦. وبلفظ قريب منه قال الإمام الشوكاني في "فتح القدير" ٥٤٦/٢، وعبارته: يطول نَفْعَكُمْ فِي الدُّنْيَا بِمَنَافِعَ حَسَنَةٍ مَرْضِيَّةٍ مِنْ سَعَةِ الرِّزْقِ وَرَغَدِ الْعَيْشِ.

(٣) "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي، ٤/٩.

(٤) ينظر: "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" لأبي السعود، ١٨٤/٤.

(٥) "التفسير الوسيط" لمحمد سيد طنطاوي، ١٥٩/٧.

(٦) سورة ص: ٣٥.

الوهاب ﷻ، **قال الإمام الرازي**: دَلَّتْ هَذِهِ الآيَةُ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ تَقْدِيمُ مُهِمِّ الدِّينِ عَلَى مُهِمِّ الدُّنْيَا، لأَنَّ سُلَيْمَانَ طَلَبَ الْمَغْفِرَةَ أَوَّلا ثُمَّ بَعْدَهُ طَلَبَ الْمَمْلَكَةَ، وَأَيْضًا الآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ طَلَبَ الْمَغْفِرَةِ مِنَ اللهِ تَعَالَى سَبَبٌ لانْفِتَاحِ أَبْوَابِ الْخَيْرَاتِ فِي الدُّنْيَا، لأَنَّ سُلَيْمَانَ طَلَبَ الْمَغْفِرَةَ أَوَّلا ثُمَّ تَوَسَّلَ بِهِ إِلَى طَلَبِ الْمَمْلَكَةِ.(١)، **وقال الإمام أبو حيان**: وَالاسْتِغْفَارُ مُقَدِّمَةٌ بَيْنَ يَدَيْ مَا يَطْلُبُ الْمُسْتَغْفِرُ بِطَلَبِ الأَهَمِّ فِي دِينِهِ، فَيَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ أَمْرُ دُنْيَاهُ، كَقَوْلِ نُوحٍ فِي مَا حَكَى اللهُ عَنْهُ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾.(٢)

مما سبق يتبين أثر الاستغفار في سعة الأرزاق، وانفتاح أبواب الخيرات، وكثرة الأموال والأولاد، ورغد العيش، والحياة الطيبة، وصدق النبي ﷺ حين قال: "مَنِ أَكْثَرَ مِنَ الاسْتِغْفَارِ، جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ"(٣).

---

(١) "مفاتيح الغيب" للرازي، ٣٩٤/٢٦. ونقل عبارته الإمام محمد سيد طنطاوي في "التفسير الوسيط" ١٦٣/١٢، ١٦٤.

(٢) "البحر المحيط" لأبي حيان، ١٥٦/٩.

(٣) حديث مرفوع، أخرجه كل من: الإمام أحمد في "مسنده" مُسْنَدُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، ١٠٤/٤، رقم ٢٢٣٤. والإمام ابن ماجة في "سننه" كتاب الأدب، باب الاستغفار، ١٢٥٤/٢، رقم ٣٨١٩. والإمام أبو داود في "سننه" كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، ٨٥/٢، رقم ١٥١٨. والإمام النسائي في "السنن الكبرى" كتاب عمل اليوم والليلة، الإكثار من الاستغفار، ١٧١/٩، رقم ١٠٢١٧. والإمام الطبراني في "الدعاء" بَابُ مَا جَاءَ فِي الاسْتِغْفَارِ، ص٥٠٢، رقم ١٧٧٤. والإمام أبو نعيم الأصبهاني في "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" ٢١١/٣. والإمام البيهقي في "السنن الكبرى" كتاب صلاة الاستسقاء، بَابُ مَا يُسْتَحَبُّ مِنْ كَثْرَةِ الاسْتِغْفَارِ فِي خُطْبَةِ الاسْتِسْقَاءِ، وَأَنْ يَقُولَ كَثِيرًا: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾، ٤٩٠/٣، رقم ٦٤٢١. والإمام الشجري في "ترتيب الأمالي الخميسية" فِي التَّوْبَةِ وَمَا يَتَّصِلُ بِذَلِكَ، ٣٢٣/١، رقم ١١٣٣. والإمام البغوي في "شرح السنة" كتاب الدعوات، باب الاستغفار، ٧٩/٥، رقم =

المبحث الخامس: الشكر

الشُّكْرُ: مصدر شَكَرَ يَشْكُرُ، وهو: تصوّر النّعمة وإظهارها، أو: عِرْفانُ الإحسان ونَشْرُه، وقال الجوهري: الثناء على المحسِن بما أولاكه من المعروف.، وقال ابن الأثير: مُقابَلةُ النِّعمَة بالقَول والفِعل والنيَّة، فيُثْنِي عَلَى المُنْعم بلِسانه، ويُذِيب نَفْسه فِي طاعتِه، ويَعْتَقِد أَنَّهُ مُولِيها.، وقال الجرجاني: عبارة عن معروف يقابل النعمة، سواء كان باللسان أو باليد أو بالقلب.، ويضادّه الكفر، وهو: نسيان النّعمة وسترها، والشُّكْرُ ثلاثة أضرب: شُكْرُ القلب، وهو تصوّر النّعمة، وشُكْرُ اللّسان، وهو الثّناء على المنعم، وشُكْرُ سائر الجوارح، وهو مكافأة النّعمة بقدر استحقاقه.(١)

أمر الله عباده بشكره، قائلا: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾(٢)، ووعد الشاكرين بالزيادة، قائلا: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ

١٢٩٦. قلت: حديث ضعيف الإسناد، ضعفه الإمام البغوي في "شرح السنة" قائلا: هَذَا حَدِيثٌ يَرْوِيهِ الْحَكَمُ بْنُ مُصْعَبٍ، بِهَذَا الإِسْنَادِ، وَهُوَ ضَعِيفٌ. وضعفه الإمام الذهبي في "المهذب في اختصار السنن الكبير" ١٤٧٨/٣، رقم ٥٧٠٠. ورغم ضعف إسناد الحديث، إلا أن معناه صحيح يشهد له الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة التي تدل على فضل الاستغفار والترغيب فيه.

(١) ينظر: "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية" لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، ت: ٣٩٣هـ، فصل الشين، شكر، ٧٠٢/٢، ط. دار العلم. "المفردات" للراغب الأصفهاني، ص٤٦١. "النهاية في غريب الحديث والأثر" لأبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير، ت: ٦٠٦هـ، حرف الشين، باب الشين مع الكاف، ٤٩٣/٢، ط. المكتبة العلمية. "لسان العرب" لمحمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور، ت: ٧١١هـ، حرف الراء، فصل الشين المعجمة، ٤٢٣/٤، ط. دار صادر. "التعريفات" لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، ت: ٨١٦هـ، باب الشين، ص١٢٨، ط. دار الكتب العلمية.

(٢) سورة البقرة: ١٥٢.

عَـذَابِى لَشَـدِيدٌ﴾[١]، فهذا وعد صريح من الله ﷻ بزيادة الشاكرين فضلا منه وإحسانا، وتهديد للكافرين نعمة الله ﷻ بسلبها عنهم، **قال الإمام الزمخشري**: لئن شكرتم يا بنى إسرائيل ما خولتكم من نعمة الإنجاء وغيرها من النعم بالإيمان الخالص والعمل الصالح، ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ نعمة إلى نعمة، ولأضاعفن لكم ما آتيتكم.[٢]، **وقال الإمام ابن عاشور**: الْجَزَاء عَنْ شُكْرِ النِّعْمَةِ بِالزِّيَادَةِ مِنْهَا نِعْمَةٌ وَفَضْلٌ مِنَ اللهِ، لأَنَّ شُكْرَ الْمُنْعِمِ وَاجِبٌ فَلا يَسْتَحِقُّ جَزَاءً لَوْلا سِعَةُ فَضْلِ اللهِ.[٣]

📖 فمن أراد زيادة ونماءا في أي نعمة يؤدي شكر هذه النعمة، سواء كانت النعمة مالا أو صحة أو طاعة أو غير ذلك، فشكر الله قيد وزيادة للنعم الموجودة، وصيد للنعم المفقودة، يقول الإمام الرازي مفسرًا وعد الله للشاكرين بالزيادة: وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الآيَةِ بَيَانُ أَنَّ مَنِ اشْتَغَلَ بِشُكْرِ نِعَمِ اللهِ زَادَهُ اللهُ مِنْ نعمه، والزِّيَادَةُ فِي النِّعَمِ أَقْسَامٌ: مِنْهَا النِّعَمُ الرُّوحَانِيَّةُ، وَمِنْهَا النِّعَمُ الْجُسْمَانِيَّةُ، أَمَّا النِّعَمُ الرُّوحَانِيَّةُ فَهِيَ أَنَّ الشَّاكِرَ يَكُونُ أَبَدًا فِي مُطَالَعَةِ أَقْسَامِ نِعَمِ اللهِ تَعَالَى وَأَنْوَاعِ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ، وشُغْلُ النَّفْسِ بِمُطَالَعَةِ أَنْوَاعِ فَضْلِ اللهِ وَإِحْسَانِهِ يُوجِبُ تَأَكُّدَ مَحَبَّةِ الْعَبْدِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَمَقَامُ الْمَحَبَّةِ أَعْلَى مَقَامَاتِ الصِّدِّيقِينَ، وَأَمَّا مَزِيدُ النِّعَمِ الْجُسْمَانِيَّةِ، فَلأَنَّ الاسْتِقْرَاءَ دَلَّ عَلَى أَنَّ مَنْ كَانَ اشْتِغَالُهُ بِشُكْرِ نِعَمِ اللهِ أَكْثَرَ، كَانَ وُصُولُ نِعَمِ اللهِ إِلَيْهِ أَكْثَرَ، وَبِالْجُمْلَةِ فَالشُّكْرُ هُوَ الْمَقَامُ الشَّرِيفُ

---

(١) سورة إبراهيم: ٧.

(٢) "الكشاف" للزمخشري، ٥٤١/٢. وذكر نحو هذا المعنى أيضا كل من: الإمام البيضاوي في "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" ١٩٣/٣. والإمام النسفي في "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" ١٦٣/٢. والإمام الخطيب الشربيني في "السراج المنير" ١٧٠/٢. والإمام أبو السعود في "إرشاد العقل السليم" ٣٥/٥. والإمام محمد صديق خان في "فتح البيان في مقاصد القرآن" ٨٧/٧.

(٣) "التحرير والتنوير" لابن عاشور، ١٩٣/١٣.

الْعَالِي الَّذِي يُوجِبُ السَّعَادَةَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا.(١)، وقال **الأستاذ أحمد بن مصطفى المراغي**: إن من شكر الله على ما رزقه وسّع عليه في رزقه، ومن شكره على ما أقدره عليه من طاعته زاد في طاعته، ومن شكره على ما أنعم عليه من صحة زاده الله صحة، إلى نحو أولئك من النعم.(٢)

📖 وهذه الزيادة للشاكرين لم يبين الله ﷻ محلها، أهي في الدنيا أم الآخرة أم فيهما معا، فيحتمل أن تكون الزيادة من نعم الدنيا، أو من نعم الآخرة، أو منهما معا، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، **قال الإمام ابن عطية**: وقال بعض العلماء: الزيادة على الشكر ليست في الدنيا وإنما هي من نعم الآخرة، والدنيا أهون من ذلك، قال القاضي أبو محمد: وصحيح جائز أن يكون ذلك، وأن يزيد الله أيضا المؤمن على شكره من نعم الدنيا، وأن يزيده أيضا منهما جميعًا(٣)، **وقال الإمام أبو حيان**: وَلَمْ يُبَيِّنْ مَحَلَّ الزِّيَادَةِ، فَاحْتَمَلَ أَنْ يَكُونَ فِي الدُّنْيَا أَوْ فِي الآخِرَةِ، أَوْ فِيهِمَا.(٤)

📖 وأخبرنا ﷻ أن هذا الوعد بالزيادة للشاكرين تحقق مع نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام، لما أدى شكر نعم الله على الوجه الأكمل جمع له ربه خير الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةًۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(٥)، **قال الإمام ابن عاشور**: وَالْحَسَنَةُ فِي الدُّنْيَا: كُلُّ مَا فِيهِ رَاحَةُ الْعَيْشِ مِنِ اطْمِئْنَانِ الْقَلْبِ بِالدِّينِ، وَالصِّحَّةِ، وَالسَّلامَةِ، وَطُولِ الْعُمْرِ، وَسَعَةِ الرِّزْقِ

---

(١) ينظر: "مفاتيح الغيب" للرازي، ٦٦/١٩، ٦٧.

(٢) "تفسير المراغي" للمراغي، ١٣٠/١٣.

(٣) "المحرر الوجيز" لابن عطية، ٣٢٥/٣.

(٤) "البحر المحيط" لأبي حيان، ٤١١/٦.

(٥) سورة النحل: ١٢٠: ١٢٢.

الْكَافِي، وَحُسْنِ الذِّكْرِ بَيْنَ النَّاسِ.[١]، **وقال الإمام محمد سيد طنطاوي**: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ أي: وجمعنا له خير الدنيا من كل ما يحتاج المؤمن إليه ليحيا حياة طيبة، كهدايته إلى الدين الحق، ومنحه نعمة النبوة، وإعطائه الذرية الصالحة، والسيرة الحسنة، والمال الوفير.[٢]

وبين الله ﷻ أن الله يبتلي عباده بالنعم ليتميز الشاكر لها من الكافر بها، كما بين سبحانه أن الشاكر يعود نفع شكره لنفسه، بالبركة والزيادة من نعم الله ﷻ، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾[٤]، **قال الإمام البيضاوي**: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ لأنه به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها، ويحط عنها عبء الواجب، ويحفظها عن وصمة الكفران.[٥]، **وقال الشيخ أبو زهرة**: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي: فإن شكره يكون عائدا على نفسه، لأنه يفعل الخير، ويثابر عليه وثمرة ذلك تعود عليه، ولأن من يشكر النعمة يزيده الله منها.[٦]

---

(١) "التحرير والتنوير" لابن عاشور، ٣١٧/١٤.

(٢) "التفسير الوسيط" لمحمد سيد طنطاوي، ٢٥٨/٨.

(٣) سورة النمل: ٤٠.

(٤) سورة لقمان: ١٢.

(٥) "أنوار التنزيل" للبيضاوي، ١٦١/٤.

(٦) "زهرة التفاسير" لأبي زهرة، ٥٤٥٦/١٠.

كما بين ﷻ أنه ابتلى بعض الناس ببعض، بتفاوت وتباين حظوظهم الدينية والدنيوية، فابتلى ﷻ الكفار بالمؤمنين، والأغنياء بالفقراء، والسادة بالعبيد، والأقوياء بالضعفاء، والعكس، ليقول المبتلون على سبيل الإنكار والسخرية والاستهزاء أهؤلاء تفضل الله عليهم من بيننا، فرد الله عليهم مبينا أنه يتفضل سبحانه ويمن على الشاكرين، فهو أعلم سبحانه من يستحق منته ونعمته، فالله سبحانه لا يضع فضله عند من ليس له بأهل، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾[1]، **قال الشيخ أبو زهرة**: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ يثبت الله ﷻ هذا النص بثلاثة أمور، أولها: أن الفضل ليس بالغنى، ولا بالجاه ولا بالقوة في الدنيا، ولكن بمقدار شكر الله تعالى على ما أنعم، والإنسان في الوجود محفوف بنعم الله تعالى تحوط به من يوم خروجه إلى الحياة إلى وقت مفارقتها، وواجب عليه الشكر لها فشكر النعم واجب بمقتضى العقل والنقل، وبمقدار شكر النعمة يكون الفضل، وثانيها: أن أولئك الذين يسارعون إلى الإيمان بوحدانية الديان، هم أصحاب الفضل؛ لأنهم هم الذين يسارعون إلى الإيمان، ودعوة الله وعبادته، والإذعان له، وثالثها: أن الله هو وحده العالم بمن يستحق الفضل وبمن يشكره وهو المستحق للفضل منه، وأفعل التفضيل على غير بابه، والمراد أنه سبحانه يعلم الشاكرين علماً ليس فوقه علم، فهو وحده العليم، السميع البصير.[2]، ويبين **الإمام محمد سيد طنطاوي** ما قررته الآية الكريمة – بعبارة مختصرة قريبة من العبارة السابقة – قائلا: الآيات الكريمة قد قررت أن الفضل ليس بالغنى ولا بالجاه ولا بالقوة في الدنيا، ولكنه بمقدار شكر الله على ما أنعم، وأنه سبحانه هو العالم

---

(١) سورة الأنعام: ٥٣.

(٢) "زهرة التفاسير" لأبي زهرة، ٢٥١٥/٥.

وحده بمن يستحق الفضل علما ليس فوقه علم.[١]

📖 وضرب الله الأمثلة لعباده وقص عليهم القصص ليعتبر أولو الألباب، مبينا لهم أن دوام النعمة وزيادتها بالشكر، وزوالها بكفرها، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾[٢]، **قال الإمام الزمخشري**: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾ أي: جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة، فكفروا وتولوا، فأنزل الله بهم نقمته.[٣]، والآية الكريمة تضمنت ما يتمناه أهل أي مصر من الأمصار، من الأمان والاطمئنان ورغد العيش، ولكن أهل القرية جحدوا وكفروا نعمة الله عليهم، ولم يقابلوها بالشكر، فزالت النعم، بل وانقلبت عليهم نقم، فهل من معتبر يعتبر، **قال الإمام محمد سيد طنطاوي**: وقوله سبحانه: ﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ بيان للعقوبة الأليمة التي حلت بأهلها بسبب كفرهم وبطرهم، أي: فأذاق سبحانه أهلها لباس الجوع والخوف، بسبب ما كانوا يصنعونه من الكفر والجحود والعتو عن أمر الله ورسله، وذلك بأن أظهر أثرهما عليهم بصورة واضحة، تجعل الناظر إليهم لا يخفى عليه ما هم فيه من فقر مدقع، وفزع شديد، ففي الجملة الكريمة تصوير بديع لما أصابهم من

---

(١) "التفسير الوسيط" لمحمد سيد طنطاوي، ٨١/٥.

(٢) سورة النحل: ١١٢.

(٣) "الكشاف" للزمخشري، ٦٣٨/٢. وذكر نحو هذا المعنى أيضا كل من: الإمام البيضاوي في "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" ٢٤٢/٣. والإمام النسفي في "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" ٢٣٧/٢. والإمام القاسمي في "محاسن التأويل" ٤١٥/٦.

جوع وخوف، حتى لكأن ما هم فيه من هزال وسوء حال، يبدو كاللباس الذي يلبسه الإنسان، ويجعلهم يذوقون هذا اللباس ذوقًا يحسون أثره إحساسًا عميقًا.(١)

📖 وقص القرآن علينا قصة قوم سبأ، وجعلهم آية يعتبر بها، حيث إنهم كانوا يتقلبون في رغد من العيش وسعة من الرزق، فقد أنعم الله عليهم ببساتين -أحاطت بمساكنهم- فيها الخير الكثير من الزروع والثمار، وأمرهم سبحانه على ألسنة الرسل أن يأكلوا من رزق ربهم آمنين مطمئنين من غير خوف ولا مرض، ويشكروا نعمة ربهم عليهم، ولكنهم أعرضوا وكفروا نعمة الله، فأنزل الله عليهم نقمة سلب بها النعم التي لم يشكروها، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾(٢)، **قال عبد الكريم الخطيب**: أعرضوا عن أمر ربهم، بالأكل من هذا الرزق، والحياة مع هذه النعم، في ظلّ من الإيمان بالله، والحمد له، فتنكروا لهذه النعم، وجحدوا هذا الإحسان، ونسوا ربهم، ولم يرجوا له وقارا، ولم يعملوا له حسابا، فكان أن أخذهم الله بما يأخذ به الظالمين، فأرسل عليهم سيلا عارما جارفا، أتى على جنتيهم، وأفسد كل صالحة فيها، ثم أعقبهم جدبًا وقحطًا، فأمسك الماء عنهم، ونبت مكان هاتين الجنتين ما ينبت في الأرض الجديب، من خسيس النبات والشجر، ومن رديء الفاكهة والثمر.(٣)، **وقال الإمام محمد سيد طنطاوي**: قلنا لهم على ألسنة رسلنا، وعلى ألسنة الصالحين منهم، كلوا من الأرزاق الكريمة، والثمار الطيبة، التي أنعم بها ربكم عليكم، واشكروا له سبحانه هذا العطاء، فإنكم إذا شكرتموه زادكم من فضله وإحسانه،

---

(١) "التفسير الوسيط" لمحمد سيد طنطاوي، ٢٤٧/٨.

(٢) سورة سبأ: ١٥: ١٧.

(٣) "التفسير القرآني للقرآن" لعبد الكريم الخطيب، ٧٩٨/١١.

فأعرض أهل سبأ عن شكر الله وطاعته، فكانت نتيجة ذلك، أن أرسل الله عليهم السيل الجارف، الذي اجتاح أراضيهم، فأفسد مزارعهم، وأجلاهم عن ديارهم، ومزقهم شر ممزق، وبدلناهم بالجنان اليانعة التي كانوا يعيشون فيها، بساتين أخرى قد ذهبت ثمارها الطيبة اللذيذة، وحلت محلها ثمار مرة لا تؤكل، وتناثرت في أماكنهم الأشجار التي لا تسمن ولا تغنى من جوع، بدلًا من تلك الأشجار التي كانت تحمل لهم ما لذ وطاب، وعظم نفعه، فالمقصود من الآية الكريمة بيان أن الجحود والبطر، يؤديان إلى الخراب والدمار، وإلى زوال النعم وتحويلها إلى نقم.(١)

📖 مما سبق يتبين بجلاء أن شكر النعمة سبب للزيادة والنماء، فشكر نعمة المال سبب لزيادته، وشكر نعمة الصحة سبب للزيادة منها، وهكذا، وأن الشكر يكون بالقلب اعترافا بنعمة الله وحبه سبحانه، وباللسان ثناءً عليه سبحانه وحمدا له، وبالجوارح انقيادا لطاعة الله ﷻ وعملا بالنعمة في طاعته، ولقد ساق القرآن نموذجا للشاكرين متمثلا في نبي الله داود عليه السلام ونبيه سليمان عليه السلام، فقد أنعم عليهما نعما عظيمة وفضلهما على كثير ممن خلق تفضيلا، فكانا خير الشاكرين، وختم القرآن هذا النموذج قائلا: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾(٢)، وأخبرنا ربنا ﷻ أن السبب الحقيقي لهلاك أي قرية وزوال النعم عنها هو بطر أهلها للنعم والغرور بها وعدم استعمالها في طاعة الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾(٣). أسأل الله أن يجعلنا له شَكَّارِين ذَكَّارِين.

---

(١) ينظر: "التفسير الوسيط" لمحمد سيد طنطاوي، ٢٨٠/١١، ٢٨١.

(٢) سورة سبأ: جزء من الآية ١٣.

(٣) سورة القصص: ٥٨.

المبحث السادس: الدعاء

لا شك أن الدعاء ينفع فيما نزل من الشدائد والمصائب - كالوباء والغلاء - بكشفها وتفريجها، وفيما لم ينزل منها بحبسها ودفعها، كما قال النبي ﷺ: "إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللهِ بِالدُّعَاءِ"(١)، وكيف لا يُنزِلُ الإنسانُ الشدة والضر بباب ربه ولا يكشف الضر إلا هو، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢)، وقد وعد الله عباده باستجابة دعائهم قائلا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(٣)، وقائلا: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(٤).

ولقد ذكر الله لنا نماذج في كتابه الكريم لأدعية أنبيائه بسعة الرزق ورغد العيش، وذكر استجابتها لهم بفضله وكرمه سبحانه:

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في "سننه" أبواب الدعاء، ٤٤٤/٥ رقم ٣٥٤٨. وقال عَقِبَه: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ القُرَشِيِّ، وَهُوَ الْمَكِّيُّ الْمُلَيْكِيُّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ فِي الحَدِيثِ قَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ بَعْضُ أَهْلِ الْحَدِيثِ مِنْ قِبَلِ حِفْظِهِ. والإمام الحاكم في "المستدرك" كِتَابُ الدُّعَاءِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّسْبِيحِ وَالذِّكْرِ، ٦٧٠/١ رقم ١٨١٥. والإمام البيهقي في "القضاء والقدر" ص٢١٢. قلت: الحديث معناه صحيح ثابت، فالدعاء ينفع مما نزل بتفريجه، ومما لم ينزل بدفعه.

(٢) سورة الأنعام: ١٧.

(٣) سورة البقرة: ١٨٦.

(٤) سورة غافر: ٦٠.

فهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام يدعو للبلد الحرام – مكة المكرمة – التي لا زرع فيها ولا غرس، أن يرزق الله أهله من الثمرات، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[2]، **قال الإمام ابن عطية**: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾ الآية، دعا إبراهيم عليه السلام لذريته وغيرهم بمكة بالأمن ورغد العيش، وكانت مكة وما يليها حين ذلك قفرا لا ماء فيه ولا نبات، فبارك الله فيما حولها كالطائف وغيره، ونبتت فيها أنواع الثمرات.[3]، وقد استجاب الله دعوة نبيه إبراهيم عليه السلام، ممتنا على أهل مكة بكثرة الخيرات والثمار التي تأتي إليهم من كل جانب لما اعتذروا عن عدم إيمانهم باعتذارات واهية قائلين كما أخبر ربنا سبحانه: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾[4]، فرد الله عليهم قائلا: ﴿أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، **قال الإمام الزمخشري**: كانت العرب في الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون، وهم آمنون في حرمهم لا يخافون، وبحرمة البيت هم قارّون بواد غير ذى زرع، والثمرات والأرزاق تجبى إليهم من كل أوب، فإذا خولهم الله ما خولهم

---

(١) سورة البقرة: ١٢٦.

(٢) سورة إبراهيم: ٣٧.

(٣) ينظر: "المحرر الوجيز" لابن عطية، ٢٠٨/١، ٢٠٩.

(٤) سورة القصص: جزء من الآية ٥٧.

من الأمن والرزق بحرمة البيت وحدها، وهم كفرة عبدة أصنام فكيف يستقيم أن يعرضهم للتخوّف والتخطف، ويسلبهم الأمن إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة الإسلام.(١)

وهذا نبي الله عيسى عليه السلام يطلب منه أنصاره الذين آمنوا به وصدقوه أن يسأل ربه أن ينزل عليهم مائدة من السماء، وذكروا لذلك أسبابا منها: أنهم يريدوا الأكل منها فقد كانوا في حاجة للطعام، فسأل نبي الله عيسى عليه السلام ربه نزول المائدة وسأله أن يرزقهم من فضله سبحانه، وختم السؤال بالثناء على الله سبحانه باسمه خير الرازقين، وقد استجاب الله دعوة نبيه عيسى عليه السلام، وهذا دليل على أن الدعاء سبب لسعة الرزق، حتى وإن كانت المائدة في ذاتها آية من الله لنبيه عيسى عليه السلام والحواريين، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٢)، **قال الإمام البيضاوي**: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ لما رأى أن لهم غرضاً صحيحاً في ذلك، ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ أي: يكون يوم نزولها عيداً نعظمه، وقيل: العيد: السرور العائد، ولذلك سمي يوم العيد عيداً، ﴿لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ أي: عيداً لمتقدمينا ومتأخرينا، ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾ أي: آية كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي، ﴿وَٱرْزُقْنَا﴾ المائدة والشكر عليها، ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ أي: خير من يرزق لأنه خالق الرزق ومعطيه بلا

---

(١) "الكشاف" للزمخشري، ٣/٤٢٢، ٤٢٣.

(٢) سورة المائدة: ١١٢: ١١٥.

عوض.[١]، **قال الإمام محمد سيد طنطاوي**: ﴿وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ تذييل بمثابة التعليل لما قبله، أى: أنزلها علينا يا ربنا وارزقنا من عندك رزقا هنيئا رغدا، فإنك أنت خير الرازقين، وخير المعطين، وكل عطاء من سواك لا يغنى ولا يشبع.[٢]

وهذا نبي الله موسى عليه السلام يخرج من مصر خائفا يترقب متضرعا لربه أن ينجيه من الظالمين، ولما توجه تلقاء مدين وسقى لابنتي الشيخ الكبير مواشيهما، ثم تولى إلى الظل متضرعا داعيا ربه سبحانه أن يتفضل عليه من خزائن كرمه وفضله، وأنه فقير محتاج إلى خيره ﷻ، فاستجاب الله له وتفضل عليه بأن يسر له عملا وزوجة ومسكنًا، قال تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾[٣]، قال الإمام ابن عاشور: وَأَحْسَنُ خَيْرٍ لِلْغَرِيبِ وُجُودُ مَأْوًى لَهُ يَطْعَمُ فِيهِ وَيَبِيتُ وَزَوْجَةٌ يَأْنَسُ إِلَيْهَا وَيَسْكُنُ، فَكَانَ اسْتِجَابَةُ اللهِ لَهُ: بِأَنْ أَلْهَمَ شُعَيْبًا أَنْ يُرْسِلَ وَرَاءَهُ لِيُنْزِلَهُ عِنْدَهُ وَيُزَوِّجَهُ بِنْتَهُ، كَمَا أَشْعَرَتْ بِذَلِكَ فَاءُ التَّعْقِيبِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا﴾.

---

(١) ينظر: "أنوار التنزيل" للبيضاوي، ١٥٠/٢.

(٢) "التفسير الوسيط" لمحمد سيد طنطاوي، ٣٤٠/٤، ٣٤١.

(٣) سورة القصص: ٢٤: ٢٨.

وهذا نبي الله سليمان عليه السلام يدعو ربه أن يهبه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، وفي الدعاء بذلك دلالة على أنه سأل ملكا عظيما واسعا، واستجاب الله له، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1]، وأيضًا نبي الله زكريا عليه السلام مع كبر سنه وعقم زوجه يدعو ربه أن يهبه الله ابنا، فيستجيب الله له، قال تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾[2].

مما سبق يتبين بجلاء أن الدعاء سبب لجلب كل خير ودفع كل بلاء وشر، وصدق النبي ﷺ حيث قال: "أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنْ الدُّعَاءِ، وَأَبْخَلُ النَّاسِ مَنْ بَخِلَ بِالسَّلامِ"[3].

---

(١) سورة ص: ٣٥: ٣٩.

(٢) سورة مريم: ٢: ٧.

(٣) حديث مرفوع أخرجه كل من: الإمام الطبراني في "المعجم الأوسط" باب الميم، من اسمه محمد، ٣٧١/٥، رقم ٥٥٩١. والإمام أبو الشيخ الأصبهاني في "أمثال الحديث" ص٢٨٩، رقم ٢٤٧. والإمام البيهقي في "شعب الإيمان" ١٩٣/١١، رقم ٨٣٩٢. والإمام عبد الغني المقدسي في "الترغيب في الدعاء" ص٥٥، رقم ٢٠. قلت: حديث حسن الإسناد، رجاله ثقات كلهم، إلا مسروق بن المرزبان: صدوق له أوهام، كما قال الحافظ ابن حجر في "تقريب التهذيب" (ص٥٢٨)، ورمز للحديث بالحسن الإمام السيوطي في "الجامع الصغير" حديث رقم ١١٤٥.

الخاتمة

وفي الختام أحمد الله العلي القدير الذي منَّ عليَّ بإتمام هذا البحث، والمعيشة في ظلال وعوده جل وعلا لعباده بسعة الرزق ورغد العيش والحياة الطيبة في الدنيا قبل الآخرة، فله الحمد والثناء الجميل، وأذكر **أهم نتائج البحث**، وهي كما يلي:

١- تقوى الله وعبادته من أهم أسباب سعة الرزق.

٢- مفتاح الخيرات كلها والبركات هو الاستغفار.

٣- الشكر قيد وزيادة للنعم الموجودة، وصيد للنعم المفقودة.

٤- الصدقة نماء للمال وبركة فيه.

٥- الدعاء سبب عظيم لتفريج الكربات وجلب الخيرات.

٦- المعصية سبب لمحق الرزق.

٧- اليقين في وعود الله ﷻ لعباده.

وأما **التوصيات**:

١- أوصي بوجوب الأخذ بالأسباب الشرعية لسعة الرزق ومكافحة الغلاء، وعدم إهمالها.

٢- أوصي بتحقيق تقوى الله ﷻ في السر والعلن فهي رأس كل خير.

٣- أوصي باللجوء إلى الله والتضرع إليه لتفريج الهموم وكشف الكروب.

٤- أوصي بفتح فرص عمل للشباب للسعي في الأرض ابتغاء لفضل الله جل وعلا.

٥- أوصي بالعمل نحو الوفاء بوعود الله ﷻ.

فهرس أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

١) "أحكام القرآن" للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر العربي المالكي، ت: ٥٤٣هـ، ط. دار الكتب العلمية.

٢) "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" لأبي السعود، ت: ٩٨٢هـ، ط. دار إحياء التراث العربي.

٣) "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" للبيضاوي، ط. دار إحياء التراث العربي.

٤) "التحرير والتنوير" لمحمد الطاهر بن عاشور، ت: ١٣٩٣هـ، ط. الدار التونسية.

٥) "التسهيل لعلوم التنزيل" لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، ت: ٧٤١هـ، ط. دار الأرقم بن أبي الأرقم، تحقيق: عبد الله الخالدي، الطبعة الأولى.

٦) "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير، ت: ٧٧٤هـ، ط. دار طيبة، تحقيق: سامي سلامة.

٧) "تفسير القرآن" لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني، ت: ٤٨٩هـ، ط. دار الوطن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس.

٨) "التفسير القرآني للقرآن" لعبد الكريم الخطيب، ت: بعد ١٣٩٠هـ، ط. دار الفكر العربي، القاهرة.

٩) "تفسير المراغي" للمراغي، ت: ١٣٧١هـ، ط. مكتبة مصطفى الحلبي.

١٠) "التفسير الوسيط" لمحمد سيد طنطاوي، ت: ١٤٣١هـ، ط. دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى.

١١) "تقريب التهذيب" لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢هـ، ط. دار الرشيد، تحقيق: محمد عوامة.

١٢) "تهذيب اللغة" لأبي منصور الأزهري ت: ٣٧٠هـ، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت،

الطبعة الأولى، ت ط. ٢٠٠١م، تحقيق: محمد عوض.

١٣) "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" للسعدي، ت: ١٣٧٦هـ، مؤسسة الرسالة.

١٤) "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للطبري، ت: ٣١٠هـ، ط. دار هجر، تحقيق: عبد الله التركي.

١٥) "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي، ت: ٦٧١هـ، ط. دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش.

١٦) "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" لأبي نعيم الأصبهاني، ت: ٤٣٠هـ، ط. دار السعادة.

١٧) "زهرة التفاسير" لأبي زهرة، ت: ١٣٩٤هـ، ط. دار الفكر العربي.

١٨) "سنن أبي داود" لأبي داود السجستاني، ت: ٢٧٥هـ، ط. دار الرسالة، الطبعة الأولى، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

١٩) "سنن ابن ماجة" لأبي عبد الله محمد بن يزيد، -ابن ماجة-، ت: ٢٧٣هـ، ط. دار الرسالة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

٢٠) "سنن الترمذي" للترمذي، ت: ٢٧٩هـ، ط. مكتبة مصطفى الحلبي، الطبعة الثانية، تحقيق: أحمد شاكر.

٢١) "السنن الكبرى" للنسائي، ت: ٣٠٣هـ، ط. مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

٢٢) "شرح السنة" للبغوي، ط. المكتب الإسلامي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

٢٣) "شعب الإيمان" للبيهقي، ط. مكتبة الرشد، تحقيق: مختار الندوي.

٢٤) "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية" للجوهري، ت: ٣٩٣هـ، ط. دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، تحقيق: أحمد عطار.

٢٥) "صحيح البخاري" لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ت: ٢٥٦هـ، ط. طوق

النجاة.

٢٦) "صحيح مسلم" لأبي الحسن مسلم بن الحجاج، ت: ٢٦١هـ، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد عبد الباقي.

٢٧) "فتح القدير" لمحمد بن علي الشوكاني، ت: ١٢٥٠هـ، ط. دار ابن كثير.

٢٨) "فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب" حاشية الطيبي على "الكشاف"، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، ت: ٧٤٣هـ، ط. جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.

٢٩) "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ت: ٥٣٨هـ، ط. مكتبة العبيكان، بالرياض، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض.

٣٠) "لسان العرب" لابن منظور، ت: ٧١١هـ، ط. دار صادر، بيروت.

٣١) "محاسن التأويل" للقاسمي، ت: ١٣٣٢هـ، ط. دار الكتب العلمية، تحقيق: محمد باسل.

٣٢) "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" لابن عطية، ت: ٥٤٢هـ، ط. دار الكتب العلمية، تحقيق: عبد السلام محمد.

٣٣) "مسند أحمد" لأحمد بن حنبل، ت: ٢٤١هـ، ط. مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون.

٣٤) "المستدرك على الصحيحين" لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، ت: ٤٠٥هـ، ط. دار الكتب العلمية، تحقيق: مصطفى عبد القادر.

٣٥) "المعجم الكبير" لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت: ٣٦٠هـ، ط. مكتبة ابن تيمية، تحقيق: حمدي عبد المجيد.

٣٦) "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم" لمحمد فؤاد عبد الباقي، ط. دار الحديث.

٣٧) "مفاتيح الغيب" للرازي، ت: ٦٠٦هـ، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.

٣٨) "المفردات في غريب القرآن" لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ت: ٥٠٢ هـ، ط. دار القلم، بيروت، تحقيق: صفوان عدنان.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث باللغة العربية..... ٤٩٨
ملخص البحث باللغة الإنجليزية..... ٥٠٠
المقدمة ٥٠٢
التمهيد ٥٠٨
المسألة الأولى: بين يدي وعود الله ﷻ في القرآن الكريم..... ٥٠٨
المسألة الثانية: القواعد العامة لقضية الرزق في القرآن الكريم. ٥١١
القاعدة الأولى: تكفل الله بأرزاق المخلوقات: ٥١٢
القاعدة الثانية: الرزق بيد الله وحده:..... ٥١٤
القاعدة الثالثة: الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر:..... ٥١٥
القاعدة الرابعة: الرزق يُمْحَقُ بالمعصية ويُبَارَكُ فيه بالطاعة: ٥١٦
المبحث الأول: تقوى الله وعبادته ٥١٩
المبحث الثاني: الإنفاق في سبيل الله..... ٥٣١
المبحث الثالث: الانتشار في الأرض سعيا على الرزق..... ٥٣٩
المبحث الرابع: الاستغفار..... ٥٤٦
المبحث الخامس: الشكر ٥٥١
المبحث السادس: الدعاء..... ٥٥٩
الخاتمة..... ٥٦٤
فهرس أهم المصادر والمراجع..... ٥٦٥
فهرس الموضوعات..... ٥٦٩

تم بحمد الله تعالى